حَلَب في كُتُبِ البُلْدانيِّين العَرَب *

الدكتور عادل الفريجات **

حَلَبُ مدينةٌ قديمة جدًّا يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد بألفين وثلاثمئة سنة، إذ ذُكرت في رُقُم أيْبلا على أنّ اسمها، «أرمان» أو «أرمي».

وأشارت الوثائق الفرعونيّة إلى مملكة حَلَب وإلى عاصمتها منذ العام ٢٠٠٠ق.م. وكانت حلب عاصمة أكبر دولة آموريّة، هي دولة «يمحاض» في القرن الثامن عشر ق.م. ووصل إلينا نصٌّ باللغة البابليّة يشير إلى معاهدة وقّعت بين ملك حلب والملك الحثّيّ مورسيل الثاني. ومن المعروف أنّها سقطت بيد الحثّيّين في العام ١٥٦٠ ق.م. ثمّ خضعت للآراميّين، فالآشوريّين، فالفرس الأخمينيّين، حتّى إذا جاء العام ٦٤ ق.م. كانت تحت الحكم الرومانيّ... ولمّا انقسمت الإمبراطوريّة الرومانيّة ونشبت الحروب بينها وبين الفرس، دخل الفرس حلب سنة ٤٤٠ م وأحرقوها. ثمّ عاد إليها الروم فأصلحوها.

وفي العام ٦٣٦ م فتح العرب حلب على يد أبي عبيدة بن الجرّاح صُلْحًا، وبنى فيها سليمان بن عبد الملك الجامع الكبير المعروف بجامع زكريّا، وهو نسخة ثانية عن الجامع الأمويّ بدمشق.

وتُعَدُّ حَلَبُ ثاني أكبرَ مدينةٍ تحوي آثارًا وعمرانًا وملامح إسلاميّة بعد القاهرة. ومن المعروف أنّها كانت عاصمة الدولة الحمدانيّة، وأنّ سيف الدولة الحمدانيّ أقام فيها، ومنها كان يقود الجيوش لحرب الروم. هؤلاء الذين تمكّنوا العام ٣٥١هـ/ ٩٦٢ م بقيادة الأمبراطور نقفور من احتلالها ونَهْبها وحَرْقها... حتّى إذا جاء الفاطميُّون إلى الشام، سيطروا عليها العام ١٠١٥ م، ثمّ نشأت فيه الدولة المرداسيّة لأكثر من ٥٠ عامًا، بعد الفاطميّين. وتعرّضت حلب إلى نكبات وكوارث كثيرة في تاريخها. إذ بعد أن توالى على حكمها الزنكيّون

(*) المقال دراسةٌ في كتاب بهذا العنوان أعدّه وصنّفه الدكتور شوقي شعث والأستاذ فالح بكّور، دار النمير، دمشق، ١٩٩٥، ٢٦٣ صفحة.

(**) جامعة دمشق.

والأيّوبيّون، هاجمها المغول العام ١٢٦٠ م، وأحرقوها، وتلاهم التتر على يد تيمورلنك في العام ١٤٠٠، فاستباحوها. وجاء بعدهما المماليك فالعثمانيّون العام ١٥١٦م الذين دخلوها بعد معركة مرج دابق شماليّ حلب، فصارت المدينة مقرًّا للحاكم التركيّ الملقّب بـ «الباشا». وبعد أن خرج الأتراك في مطلع هذا القرن آلتْ إلى الحكومة السوريّة، فجعل الفرنسيّون منها دولةً ضمن حدود الانتداب سمّوها «دولة حلب» ثمّ نعمت، كباقي محافظات القطر العربيّ السوريّ، بالحرّيّة والجلاء والاستقلال، منذ العام ١٩٤٦.

ومن المعروف أنّ حلب تقع في شماليّ سورية، وتبعد عن دمشق نحو ٣٦٠ كم، ويخترقها نهر قُوَيْق المشهور. وهي تعرف بقَلْعَتِها الخالدة، وبأسواقها، وجوامعها، وأسوارها... لذا قامت مديريّة المتاحف والآثار بتسجيل حلب، وكثير من مناطقها، في سجلّ الآثار لديها، وهذا يعني ضرورة حمايتها وصيانتها. كما سجّلتها في السجلّ العالميّ التابع لد «يونسكو» ضمن سجلّ الممتلكات الثقافيّة العالميّة، بحيث يتحمّل العالم بأسره ضرورةَ حماية كلّ ما دُوّن فيه والمحافظة عليه.

ونظرًا إلى أهمّيّة هذه المدينة، فإنّ التأليف فيها، وفي تاريخها، لم ينقطع أبدًا. وفي وسْعنا أن نشير، من دون استقصاء، إلى كُتُبٍ أُلّفَتْ فيها قديمًا، وكتبٍ أُلّفت فيها حديثًا. فمن الكتب القديمة في حلب وتاريخها:

١ - كتاب تاريخ حلب، لِلْعُظَيْمي المُتوفّى بعد (٥٥٦هـ/ ١١٦٠م).

٢ - كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م).

٣ - الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شدّاد (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).

٤ - دُرُّ الحَبَب في تاريخ حلب، لمحمّد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي (٩٧١هـ/ ١٥٦٣م). وللمؤلّف ذاته كتاب آخر، اسمُهُ: الزَّبَد والضَّرَب في تاريخ حلب، نشره الدكتور محمّد التونجي بالكويت العام ١٤٠٩هـ.

٥ - معادن اللهب في الأحيان المشرّقة بهم حلب، لأبي الوفاء العرضي (١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م). وحقّقه أيضًا د. محمّد ألتونجي، ونشره بدمشق العام ١٤٠٧هـ.

ومن الكتب الحديثة المؤلّفة في حلب وتاريخها وأعلامها:

١ - إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمُحمّد راغب طبّاخ. ويقع في سبعة أجزاء. وفيه ترجمة لأكثر من /١٠٠٠/ عَلَم حلبيّ. وطُبع مرّتين

في حلب /١٩٢٦/ ومرّة ثانية فيها سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩ بإشراف محمّد كمال.

٢ - أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر، لقسطاكي الحمصيّ (١٩٤١م). وفيه تراجم لأكثر من (٥٠) عالمًا حليًّا كان هو آخرهم.

٣ - محافظة حلب، لعبد الرحمن حميدة، ضمن سلسلة «بلادنا». وصدر عن وزارة الثقافة بدمشق - د.ن.

٤ - حلب القديمة، منشورات المديريّة العامّة للمتاحف والآثار بدمشق (١٩٨٣).

٥ - أحياء حلب وأسواقها، لخير الدين الأسدي (١٩٧١م)، حقّقه عبد الفتّاح رواس قَلْعَجي، وطبعته وزارة الثقافة بدمشق العام ١٩٨٤. ومن المعروف أنّ للأسدي هذا معجمًا يقع في /٨٠٠٠/ صفحة، اسمه موسوعة حلب المقارنة. وقد ظهر منه عدّة أجزاء.

٦ - معالم حلب الأثريّة، لعبد الله حجّار. وهو من منشورات جامعة حلب وجمعيّة العاديّات فيها، العام ١٩٩٠.

٧ - الحلبيّون في المهجر، لعبدالله يوركي حلّاق. وهو من منشورات مجلّة (الضادّ) الحليّة العام ١٩٩٤.

وأخيرًا يأتي هذا الكتاب الذي نقف عنده اليوم وعنوانه: حلب في كُتُب البلدانيّين العرب.

جاء هذا المصنَّف في (٢٦٣) صفحة. وقد عاد فيه المؤلّفان إلى حوالى (٥٠) كتابًا. فبدأ منذ القرن الثالث الهجريّ مع كتاب صورة الأرض لمحمّد بن موسى الخوارزمي (٢٣٣هـ/٨٤٧م)، وانتهيا برحلة محمّد ثابت (١٣٧٧هـ)، وكتابه جولة في ربوع الشرق الأدنى. وقد مرّا بمؤلّفات تاريخيّة عديدة، مثل فتوح البلدان للبلاذري، والمسالك والممالك لابن خرداذبة، وصفة جزيرة العرب للهمداني، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، والروض المِعْطار للحميري، وبُغْية الطلب لابن العديم، ونهر الذهب في تاريخ حلب للغزّي... إلخ.

وكثرت عودة المُؤلّفَيْن إلى كُتُب الرحلات، ومن الرحّالين الذين عادا إليهم: ناصر خسرو (٤٥٣هـ/١٠٦١م) وكتابه: سفر نامة، وهو بالفارسيّة، وقد ترجمه يحيى خشّاب إلى العربيّة. ورحلات بنيامين (٥٦٩هـ/١١٧٣م).

والشريف الأدريسيّ (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. وابن بطوطة (٧٧٩هـ/ ١٣٦٩م)، واسم رحلته تحفة النُّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ولويس شيخو الذي دوّن خلاصة رحلتَيْن قام بهما إلى حلب في مطلع هذا القرن. ومحمّد ثابت المصريّ المعاصر، الذي سجّل مشاهداته وملاحظاته في كتاب بعنوان: جولة في ربوع الشرق الأدنى. وفؤاد أفرام البستاني الذي قام برحلته إلى حلب في أوائل خمسينيّات هذا القرن، ودوّن ملاحظاته تحت عنوان خمسة أيّام في ربوع الشام... وأُنْهِيَ الكتاب بنصوص قصيرة عمّا قاله الرحّالون الأجانب في حلب، أمثال بوكوك الإنكليزيّ ١٧٣٧م، نيبهور الدانمركيّ ١٧٦٦م، وڤُولْني الفرنسيّ ١٧٨٣م، ولويس إسكندر دي كوارنسز، قنصل فرنسا في حلب ١٨٠٨م. ولو نظرنا في تواريخ النصوص المختارة عن حلب، من زاوية وفيات أصحابها، لوجدنا سبعة نصوص تعود إلى القرن الثالث الهجريّ، ومِثْلَها إلى الرابع، وأربعة إلى الخامس، ونصًّا إلى السادس، وثمانية نصوص إلى القرون السابع والثامن والتاسع، ونصًّا إلى العاشر والثالث عشر، ونصَّيْن للحادي عشر، وثلاثة للثاني عشر، وتسعة نصوص للقرن الرابع عشر الهجريّ.

وقد كان وراء النصوص المختارة من المراجع السابقة رغبةٌ في رَسْم خطّ لتطوّر مدينة حلب عبر القرون، ورَصْدِ كلّ ما جدَّ عليها من توسّع عمرانيّ واقتصاديّ وتجاريّ وثقافيّ وبشريّ، كما حفلت تلك النصوص بأخبار تاريخيّة، ومعلومات جغرافيّة، وأشعار، وأسماء أعلام، وأوصاف لأحوال المعاش في حلب، وأحوال السياسة فيها، أثناء ما يقرب من ألف عام.

وعلى سبيل المثال، فإنّ أبواب حلب كانت عند ناصر خسرو (٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) أربعة أبواب، هي: ١ - باب الله ٢ - باب اليهود ٣ - باب الجنان ٤ - باب أنطاكية. ثمّ ذكر ياقوت بعد نحو (٢٠٠ عام) أنّ لحلب في زمانه سبعة أبواب هي: ١ - باب الأربعين ٢ - وباب اليهود وقد سمّي أيضًا بباب النصر ٣ - باب الجنان ٤ - باب أنطاكية ٥ - باب قنسرين ٦ - باب العراق ٧ - باب السرّ.

وإذا كانت أبوابها قد كثرت، واختُلِفَ فيها، فإنّ قلعتها الخالدة كانت محورًا لكثيرين ممَّنْ تحدّثوا عن آثار حلب ومعالم عمرانها. وقد قيل: إنّ سلوقس هو الذي عمَّرها، وقيل: بل الآشوريّون، وقيل: بل العماليق... ولكن من المؤكّد أنّ فيها معبدًا حثّيًا، تعود بقاياه إلى القرن التاسع ق.م.، إضافة إلى

نواويس رومانيّة وبيزنطيّة من أيّام يُوسْتِينِيانُس. كما أنّ في القلعة اليوم ملامح عمارة عربيّة كان لسيف الدولة الحمدانيّ، ولسلاطين أُخَر بعده، دور هامّ في بنائها. ومن المعروف أنّ السلطان قايتباي قد جدّد في بنائها.

ورغم الزلزال الذي ضربها العام ١٨٢٢م، فإنّ إبراهيم باشا قد رمّمها في ثلاثينيّات القرن الماضي، كما أُجْرِيت عليها ترميمات وتصليحات في زمن الحكم الوطنيّ، وبعد جلاء الفرنسيّين عن سورية.

ومن آثار حلب ومعالِمها، أسواقُها المشهورة. ومن تلك الأسواق «سوق الزجاج» هذا الذي قال فيه القزوينيّ (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م): «ومن عجائبها سوق الزجاج، فإنّ الإنسان إذا اجتاز بها، لا يريد أن يفارقها لكثرة ما يرى فيها من الطرائف العجيبة والآلات اللطيفة» (ص ١١٠ من الكتاب).

وكذلك تعرّفْنا من خلال النصوص المختارة مجموعةً كبيرة من أعلام حلب في القديم، ممّن كان لهم إسهام ثقافيّ وفكريّ وتأليفيّ، ومن هؤلاء: الشعراء والفقهاء والمؤرّخين، فمن شعراء حلب القدامى مثلًا: أبو الفَتْح بن أبي حصينة، وأبو محمّد بن سنان، وأبو العبّاس المعروف بأبي مشكور، وابن خالوية، والصنوبريّ، والخالديّان، وشاعر العربيّة الأكبر - أبو الطيّب المتنبّي، وأبو فراس الحمدانيّ، والبحتريّ... إلخ. ومن الفُقهاء: أبو داود، وأحمد بن حنبل، وسعد الدين بن الشيخ، ومحي الدين بن عربي، والسهروردي... إلخ. ومن مؤرّخيها: العُظَيْمي، وابن العديم، والقِفْطي، وياقوت الحموي، وابن شدّاد... إلخ. ومن رجالاتها الكبار: سيف الدولة الحمدانيّ، والغازي بن صلاح الدين الأيّوبي، والوزير القفطي أيضًا، صاحب كتاب طبقات الأطبّاء، وكتاب المحمّدون من الشعراء... إلخ.

أمّا في العصر الحديث فيمكن المرء أن يذكر أعلامًا حلبيّين كثيرين، مثل: راغب الطبّاخ، صاحب كتاب أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، وقسطاكي الحمصيّ، وخير الدين الأسديّ، وعبدالله يوركي حلّاق صاحب مجلّة الضادّ، وعمر أبو ريشة شاعر سورية الكبير، وعبد الرحمن حميدة، أستاذ الجغرافية الجامعيّ، وعبدالله حجّار، صاحب كتاب معالم حلب الأثريّة، وعمر الدقّاق، وسامي كيّالي وهو مؤلّف كتاب الحركة الأدبيّة في حلب الصادر في الخمسينيّات من هذا القرن. ومن قصّاصيها جورج سالم، ونهاد سيريس، ومن مناضليها الكبار في هذه الآونة: المطران إيلاريون كبّوجي مطران القدس الذي أُودع سجون إسرائيل لعدّة سنوات، ثمّ أفرج عنه... إلخ.

وإذا عُدْنا إلى الكتاب الذي نراجعه حلب في كُتُب البلدانيّين العرب فإنّنا نرى فيه، على قيمته، نواقص وثغرات وملاحظات نسجّلها على النحو التالي.

١ - إنّ العنوان لا ينطبق على المحتوى، فالعنوان حلب في كتب البلدانيّين العرب، لكن المحتوى ضَمَّ كُتبًا غير عربيّة ألّفها مستشرقون أو أعاجم. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنّ الكتب التي اسْتُقِيَتْ منها النصوص ليست كلّها بُلْدانيّة، ففيها ما هو تاريخيّ، مثل بقية الطلب، وما هو لغويّ صرْف، مثل لسان العرب وتاج العروس. يبدو لي أنّ السَّجْعة المعقودة ما بين (حَلَبْ... وعَرَبْ) كانت وراء هذا الاختيار، فوقعت تضحية بالدقّة لصالح العنوان المسجوع.

٢ - والتضحية بالدقّة والصحّة لم تقتصر على العنوان فحسب، بل تجاوزته إلى بعض النصوص المقبوسة في الكتاب، وخاصّة في مجال الشعر. وسنضرب أمثلة على ذلك ولا نستقصي كلّ شيء:

أ - نقل المؤلّفان عن كتاب مختصر كتاب البلدان، للهمدانيّ المعروف بابن الفقيه، والمطبوع بليدن العام ١٤٠٢هـ، (ص ٤٢ من كتابنا) هذين البيتين لعمرو بن كلثوم:

- وعندَ اللهِ يأتيهِ دُعاها إلى أرضٍ يعيشُ بها الفقيرُ
- لأرضِ الشامِ وهي حِمىً وخبٌّ وزيتونٌ وثَمَّ نشا العصيرُ

وفي البيتين، حسب هذه الرواية، غموضٌ وتحريف كثير. ولو كلّف المُصنّفان نَفْسَيْهما العودة إلى ديوان عمرو بن كلثوم - (ط. إميل بديع يعقوب ص ٤٣-٤٤) - لوجدا الرواية كما يلي:

- وعبد الله ثانيةً دعاهم إلى أرضٍ يعيشُ بها العسيرُ
- إلى أرضِ الشآم حِمىً وحبّ وثمّ... نشا العصير

فكلمة «ثانية» حُرّفت إلى «يأتيه» وكذلك حُرّفت كلمة «حبّ» إلى «خب» والحبّ أكثر ملاءمة للزيتون. ولكنّ البيت الثاني - والحقّ يُقال - بقي، في الكتاب وفي الديوان معًا، غامضًا ومُحرَّفًا ومُضطربًا.

ب - وكذلك يلاحظ المرء التحريف وغموض المعنى في بعض أبيات ابن أبي عيتة التي قالها في حلب، ولا أدلّ على ذلك من هذا البيت مثلًا:

- وسِرْبٍ من الغزلانِ يرتعنَ حولَهُ كما انسلَّ متطوّمٌ من الدرِّ من سلكِ

وكلمة «متطوّم» محرّفة عن «منظوم» بلا ريب.

ومن هذا البيت أيضًا:

فيا طيبَ ذلك القصرِ قصرًا ونزهةً بأفيحِ زحبٍ غيرِ وَعْرٍ ولا ضنْك

وكلمة «طيب» هنا محرّفة عن «طيب» دون شكّ.

٣ - لم يتنبه المُصنِّفان إلى وجود عباراتٍ مُقْحَمةٍ أُخلَّتْ بِسياقِ النصّ المقبوس، ولم ينبِّها إليها. فذكرا في (ص ٥٤) من كتابهما نصًّا من كتاب ابن حَوْقَل (المتوفّى سنة ٣٦٧هـ) - ولنتنبه إلى تاريخ الوفاة ٣٦٧هـ - صورة الأرض هذا النصّ عن حلب: «وكان لها أسواق حسنة وحمّامات وفنادق كثيرة ومحالّ وعِراص فسيحة ومشائخ وأهل جلّة، وهي الآن في زماننا، وهو نيّف وسبعين وثلاثمائة للهجرة... إلخ». فكيف يكتب ابن حوقل المتوفّى العام ٣٦٧هـ عن زمنٍ غير زمانه يقع بعد سنة ٣٧٠هـ؟ إذن هذه عبارة مُقْحَمة، على نصّ ابن حوقل، أقحمها النُّسّاخ على الأرجح، أو أنّ كلمة سبعين قُرئت خطأً، وهي في الأصل (ستّين) وهذا احتمال آخر... ومن هنا كان لا بدّ من معالجة هذه المسألة في حاشية من حواشي الكتاب، ولكن هذا لم يقع لسوء الحظّ. ومن المؤسف أنّ الأمر قد وود ما يشبهه في (ص ٥٣). فجاءت عبارة تناقض السياق، ناقصة، غامضة ولا معنى لها، تقول تلك العبارة:

«جُنْد قنسرين: مدينتُها حلب. وكانت عامرة غاصّة بأهلها، كثيرة الخيرات على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات، وافتتحها الروم - وكان الروم قد افتتحوها في تاريخ ثلاثمائة ونيّف وسبعين - مع سور عليها حصن من حجارة لم يُغْنِ عنهم من العدوّ شيئًا بسوء تدبير سيف الدولة، وما كان به من العِلّة، فأخرب جامعَها وسبى ذراري أهلها وأحرَقها».

ولا شكّ أنّ في هذا النصّ سقطًا يكشفه ما بعد العبارة المقحمة والمغلوطة أصلًا، كما سنرى. فالمعنى لم يقمْ إذا تجاوزْنا العبارة التي تشير إلى تاريخ فَتْح حلب، والخَلَل واضح فاضح...!

أمّا أن يكون الروم افتتحوها - حسب العبارة المُعْتَرِضة في النصّ - سنة ثلاثمائة ونيّف وسبعين، فهذا غير صحيح، وقد مرّ بنا من قبل أنّ تقفور احتلّ حلب سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م)، وفرّ منها (سيف الدولة) ثمّ عاد إليها... فتأريخ فَتْح الروم حلبَ إذًا غير صحيح، ولم يُنبِّه عليه المُصنِّفان!

٤ - إنّ بعض المصادر التي عاد إليها المصنِّفان لم تقدّم إلى الباحث شيئًا يُذْكَر، ويبدو أنّ الرغبة في التكثُّر كانت وراء العَودة إليها. فمثلًا عاد الباحثان إلى كتاب لسان العرب لابن منظور المصريّ، فنقلا منه هذا النصّ: «حلب

مدينة بالشام. وفي التهذيب: حلب اسم بلد من الثغور الشاميّة». وهذا نصٌّ يبدو غيرَ ذي قيمة إذا قُرِن بنصٍّ آخر لياقوت الحمويّ ساقُه المؤلِّفان بلغ ١٤ صفحة. فمبدأ التناسب لم يكن واردًا في ذهن المُصنِّفَيْن إذن.

٥ - وبالمقابل غفل المُصنِّفان عن كُتُبٍ مهمّة أرَّخت لحلب. ولم يفيدا منها، ومن تلك الكتب مثلًا كتاب تاريخ حلب للعُظَيْميّ (نحو ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) وهو كتاب صدر بدمشق العام ١٩٨٤ بتحقيق إبراهيم زعرور. وأصلُهُ رسالة ماجستير نُوقِشتْ في كلّيّة الآداب بجامعة دمشق.

٦ - لم يكلّف المصنِّفان نفسَيْهما، أحيانًا، بشرْح بعض المصطلحات القديمة، وكان في وسعهما أن يفعلا ذلك بشيء من الجهد. فمُصْطَلَح «السِّكّة»، وهو مقياس مسافة، كان يمكن استنتاج حقيقته ومقداره، لو قارنّا بين أقوال المؤرّخين الواردة في الكتاب. فقد ذكر ابن خرداذبة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) أنّ بين حلب ومنبج تسع سكك. ويذكر قُدامة بن جعفر في كتابه الخَراج أنّ المسافة ذاتها تفصل ما بين دمشق وبعلبك، فلو عرفنا على نحو تقريبيّ مقدار هذه المسافة بالكيلومترات، وقسّمناها على تسعة، لعرفْنا ماذا يعني «مصطلح السكّة»، ولاستطعْنا أن نعرف الطرق التي كان يسلكها الناس بين المدن، بحسب أقوال القدماء فيها.

٧ - وبخصوص الإخراج الطباعيّ، فعدا عن الأخطاء المطبعيّة الكثيرة في الكتاب، وقع غلط في تحديد حواشي المصنِّف. فما جاء في (ص ٢٦) كلّه حاشية، ولكن لم يُفْصَلْ بينه وبين ما يمكن أن يكون مَتْنًا بخطّ، كما هي الحال في الصفحات الأخريات. ولكن رغم كلّ ما تقدَّم، فإنّ الكتاب الذي نراجعه ضمَّ بين دفتَيْه نصوصًا نادرةً، من كُتُب طُبعت قديمًا، وليس من الميسور الحصول عليها. كما شَفَعَ مُعِدّا الكتاب لبعضِ مقبوساتهما بخرائط قديمة نادرة للمنطقة العربيّة، مثل خريطة العراق والجزيرة العربيّة، للإدريسيّ الواردة في (ص ٧٧)، وخريطة العالم كلّه التي رسمها القزوينيّ ووردت في (ص ١١٣).

وتستوقف الباحث في هذا الكتاب معلومات قيّمة ذكرها الرحّالون الذين مرّوا بحلب الشهباء عبر القرون. ومن تلك المعلومات القيّمة ما ذكره الأب لويس شيخو في رحلتَيْن له إلى حلب: الأولى قام بها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، والثانية نقَّلها بعد مضي عشر سنوات من الأولى. وقد نشرهما في مجلّة المشرق وهما فيها على التوالي: السنة الثامنة للعام ١٩٠٥ والسنة ١٩

للعام ١٩١٦. والمُلاحَظ من مطالعة ما كتبه شيخو أنَّ عدد سُكّان حلب قد زاد نحو مئة ألف في غضون عشر سنوات، فكانوا نحو (١٥٠) ألفًا، ثمّ صاروا (٢٥٠) ألفًا في العام ١٩١٦. وكان من أبرز ما ذكره (شيخو) في رحلته الثانية إلى حلب إشارته إلى حاجة المدينة آنئذ إلى الماء والكهرباء... ولكنّه أشاد بصناعة النسيج فيها آنذاك فقال: إنّ عدد الأنوال فيها لا يَقِلُّ عن عشرين ألف نَوْل... وكذلك أشار في رحلته الأولى إلى قوم يتعاطون العِلْمَ فيها، فذكر منهم الشيخ كامل الغزّي، وهو صاحب كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب وكان يصنّفه آنئذ. وذكر أيضًا أنّه لقي من أدبائها جرجس الخيّاط، وقسطاكي الحمصي، وميشال الصقّال... إلخ.

ولكنّ شيخو المُفْرَم بالكتب والمَنْهوم بالعلْم حدَّثنا عن حلب مدينة الكتب التي تكثر فيها المخطوطات، فذكر أنّه اطّلع في المدرسة الأحمديّة بمعونة جناب السيّد أحمد أفندي الجلبي على المخطوطات التالية: تهذيب اللغة، للأزهريّ (٣٧٠هـ)، وكتاب ما يعوّل عليه من الأمثال، لمحمّد أمين المجي، وكتاب النيل على مرآة الزمان في معرفة الخلفاء والأعيان، لأبي الفرج بن الجوزي ألّفه قُطْبُ الدين موسى بن محمّد اليلبكي، وعلى كتاب طبقات الملوك للثعالبيّ وقال: في فهرست هذه المدرسة كتاب للفارابي يدعى الرسالة الفتحيّة، وكأنّه فُقِد إذ لم يمكن اكتشافه (ص ٢٢٠).

وكذلك يُطْلِعُنا على كتاب عن مصر مخطوط، عند الوجيه فردريك بوخه يُنسب للقزويني. وهذا الكتاب يصف مدينة القاهرة ثمّ يتحدّث عن خزانة كُتُب فيها... ونعرف من النصّ الذي نقل منه شيخو أنّ نسخة من كتاب العين بخطّ الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤلّف الكتاب، قد بقيت إلى زمن متأخّر، وكذلك نسخة بخطّ الطبراني أو الطبري بخطّ يده من كتاب التاريخ قد تُدُوِلَت حتّى زمن متأخّر أيضًا. ويذكر شيخو نقلًا عن هذا الكتاب المعزوّ للقزويني أنّ أحد رواته ذكر أنّه رأى في مصر سنة ٤٦١هـ خمسة وعشرين جملًا موقّرة كتبًا حُمِلت إلى الوزير أبي الفرج محمّد بن جعفر المغربيّ، أخذها هذا الوزير من خزائن القصر هو والخطير بن الموفّق في الدين بإيجاب وَجَبَ لهما عمّا يستحقّانه وغلمانهما من «ديوان الحلس». وينقل عن ابن الطوير أنّ خزانة كتب كانت في القاهرة في أحد مجالس البيمارستان العتيق تحوي ما يزيد على مئة ألف كتاب من المجلّدات...

ويذكر شيخو أيضًا أنّه رأى من المخطوطات كتاب الدرّ المنتخب في

تاريخ حلب لعلاء الدين بن الخطيب عند كامل أفندي الغزّي. وكتاب شَرْح مقامات الحريري للمطرّزي في مكتبة الموارنة. ورأى عند الخوري جرجس شلحت نسخةً من كتاب جلوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لابن الخطيب. وكتاب المذكّر والمؤنّث للفرّاء تاريخ سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م). ونسخة من كتاب الأضداد لابن الأنباري (وقد طبع بليدن) عند الأديب قسطاكي الحمصي. وكتاب التيفاحي في المعادن والجواهر، عند الشيخ أحمد أفندي الزرقاء، وعند الأخير أيضًا عاينَ كتابَ الوَشْي المرقوم في حلّ المنظوم، المنسوب للبديع الهمذانيّ، والمشهور أنّه لابن كثير... وكتاب عجائب المخلوقات للقزوينيّ، (كُتِب سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٠م)، وفي المكتبة المارونيّة كتاب حمية القصر في تراجم أدباء العصر للباخرزيّ... وكتاب البُرهان في علم الميزان للجلْدكي، وكتاب أدب القضاة للشعراني، وكتاب مِفْتاح الرحمة وكنز النعمة في الكيمياء... وكتاب الكافي في الطبّ لأبي نصر عدنان بن منصور بن العين زربيّ، وكتاب التَّشْويق الطبّيّ لصاعد بن حسن.

ولم يبعد شيخو عن الحقّ حين نَعَتَ حَلَبَ بأنّها «مدينة الكتب»، فممّا يُعزِّزُ متزلتَها هذه، ويؤكّد قولته، أنَّ حلب كانت المهد الأوّل للطباعة العربيّة، وهي أوّلُ مدينة عربيّة عَرَفتِ الطباعَة، إذ أُنْشِئتْ فيها أوّلُ مطبعة عربيّة سنة ١٦٩٨، وقيل بل سنة ١٧٠٢، وهي مطبعة البطريرك دبّاس. وكان أوّلُ كتاب طُبِع في تلك المطبعة هو كتاب القنداق أي خدمة القدّاس الشريف، ثمّ تلاه كتاب السواعي، وهو باليونانيّة والعربيّة. وكان البطريرك دبّاس قد استقدم آلات مطبعته من بخارست في رومانيا.

وأخيرًا، فمهما يكنِ الشأن ومهما شاب كتاب حلب في كتب البلدانيّين العرب من هَنات وما مازجه من ثغرات، يبقى كتابًا مفيدًا لِمَنْ يريد تناول الأشياء على عجل، ولمَن يشاء أن يعرف بعض المختصرات، وبعض النصوص عن حلب، ممّا كتبه مُصنّفون في أثناء أكثر من ألف عام، لكن تلك النصوص، كما هي شروطها، بقيت موادَّ خامًا، ولم تدخل في بناءٍ تأليفيّ وتصنيفيّ علميّ مُحْكَم ومتكامل.

أبو رائطه التكريتيّ (القرن التاسع الميلاديّ)
ورسالته في الثالوث المقدّس

دراسة ونصّ
بقلم الأب سليم دكّاش اليسوعيّ
سلسلة «الفلاسفة والمتكلّمون العرب المسيحيّون - العصر الوسيط»،
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ١٣٦ صفحة.

يعرض الأب دكّاش في كتابه سيرةً لأبي رائطه وتحقيقًا لمؤلّفاته ودراسةً لمؤلّفَين منها في الثالوث، نُشرا مع تعليقات وحواشٍ كاملةٍ في أحدهما، وجزئيّةٍ في الآخر. وتعود قيمة هذه الدراسة إلى أنّها تدلّ إلى مصادر التكريتيّ عند القبلوقيّين خاصّةً، وتقارن فكره بفكر المعتزلة الذين هم جماعة خصومه، كما بيّنه المحقّق بلا مشقّة. وكنّا نودّ لو تكلّف الأب دكّاش أيضًا مقارنةً أبي رائطه بسائر المتكلّمين العرب المسيحيّين، علمًا بأنّ قسم أطروحة رشيد حدّاد المكرّس لأبي رائطه هو ناقص جدًّا.

كان أبو رائطه معاصرًا لعمّار البصريّ وأبي قرّه، فهو ينتمي إلى الجيل الأوّل من المتكلّمين العرب المسيحيّين، بحيث أوجب عليه احتكاكه بالإسلام في القرنين الثامن والتاسع الميلاديّين أن يصوغ حججًا مبتكرة يستخدمها في المناظرة. ولقد كانت المعقوليّة ضروريّة بصفتها المجال لنقاشٍ بين قوى متعادلة.

قيل كلّ جدال، لا بدّ من الإرادة الحرّة للدخول في حوار. قد يسعى الجدال إلى الحرب الكلاميّة أوّل وهلة فيحمل في طيّاته العاصفةَ والتهديد. يبقى مع ذلك أنّ الكلام العنيف نفسه يقوم على جوهر الكلام، الذي هو تأهّب للحوار الهادئ. ولهذه الغاية، وجب على أبي رائطه أن يذكّر المسلمين بضرورة التقيّد بما للنقاش المنصف من قواعد أوّليّة بديهيّة.

وكان الوضع في تلك الأيّام يقتضي ألّا يقبل المسيحيّ، الذي يعيش تحت سلطة الإسلام، بالدخول في مناظرة دينيّة إلّا بروح الاستشهاد. فإذا ذلّ لسانه حُكم عليه. ولذلك نرى أنّ حُنَين بن إسحق المشهور، الذي ذاق طعم السجن، رفض أوّلًا أن يُجيب ابن المنجّم، الذي حثّه على اعتناق الإسلام[1]. ويذكّر أبو رائطه، في مطلع رسالته في الثالوث، بتردّداته الشخصيّة. فقد امتنع، بسبب ضعفه وخوفه، عن نشر فكره، ولم يجد الجرأة اللازمة إلّا في كلمة المسيح الذي يحثّ على عدم الخوف ممّن له القدرة على قتل الجسد، بل على الخوف ممّن له القدرة بعد القتل على أن يلقي في جهنّم (لوقا ١٢/ ٤-٥). وفي الواقع، فإنّ موقف خصم أبي رائطه يتضمّن تهديدات تكاد أن لا تُخفى. في نظر المسلم، القضيّة مبتوت فيها، إذ إنّ المسيحيّ، الذي يسلّم بأسماء الله كما يفهمها الإسلام، «يضلّ»، إن أضاف إليها

---

(١) Cf. *Une correspondance islamo-chrétienne entre Ibn al-Munağğim, Hunayn ibn Ishāq et Qusṭā ibn Lūqā*, introduction et division: S. Khalil; introduction et traduction: P. Nwyia, in «Patrologia Orientalis», t. 40, fasc. 4.

الثالوث. أوّل وهلة، يرفض أبو رائطه ادّعاء المسلم أنّه وريث الوحي من دون سواه، إذ على الاثنين أن يعتبرا نفسيهما أخوَين يشتركان في وراثة بضاعة تركها لهما أبوهما (المقطع ١٩). نذكّر، في هذا الصدد، بأنّ أبي رائطه هو كاتب صفحة رائعة تتضمّن دفاعًا عقلانيًّا عن المسيحيّة، عن ذلك الدين الذي يهدي إليه إكراه المعجزات، لا إكراه القمع![٢].

إنّ ما جعل المعتزلة يميلون أكثر من غيرهم إلى رفض الثالوث أساسًا هو رفضهم المتصلّب للتسليم بأيّ تمييز بين أسماء الله والذات الإلهيّة. إذ إنّهم رأوا فيه شيئًا من الشِرك: ولذلك بدا لهم اللهُ وعِلمه حقيقةً واحدة، فبذلوا كلّ قياس في وصف الله.

يسلّم أبو رائطه لهم بأنّ الله واحد لا مثيل له، ويرفض أن تكون الوحدة في العدد ويكتفي بنسبتها إلى الجوهر. وإذا سلّم، كما في القرآن الكريم، بأنّ لله أسماء، فلكي يميّزها من الذات الإلهيّة ويعود فيجمعها بصفة أقانيم.

وفي هذا الصدد عندي تحفّظٌ يخصّ بتقدير الصلة القائمة بين الجوهر والأقانيم. ففي نظر الأب دكّاش يرفض أبو رائطه التمييز الشكليّ أو الأنطولوجيّ بين الأقانيم والطبيعة الإلهيّة، مؤكّدًا أنّ الواحد (الطبيعة) هو الأقانيم (الثلاثة) (ص ٤٥). فقد ورد في الطرح المطعون فيه: «فاسمُ الله، له الحمد، اسم جوهر بذوات الأقانيم الثلاثة... وهذه الأقانيم جوهر واحد، لا جواهر». وهذا ما لا يعني، في نظري، أكثر من أنّ الله هو جوهر وثلاثة أقانيم، الجوهر نفسه في الثلاثة. فليس هنا من سبب لأن نأخذ على أبي رائطه خلطه بين الجوهر والأقانيم، حين يكتفي، ردًّا على الشِرك، بالإشارة إلى وحدة الجوهر. هذا وأنّ إدخال مفهوم «الطبيعة» (الغائب عن سياق الكلام) هو الذي يعقّد صلة الجوهر، لأنّ معنى اللفظ في ذلك الزمن كان غير أكيد على الإطلاق، فيجوز لنا أن نقول، على سبيل الإمكانيّة، وبالانضمام إلى روح عمليّة انتقاد الأب دكّاش، إنّ الجوهر والأقنوم هما شيء واحد في الواقع، على مستوى الطبيعة الإلهيّة[٣].

إنّ هذا الكتاب، الذي يستحقّ أن يُركَن إليه بكلّ ثقة، سيحتلّ المكان المناسب في مكتبة أفواج الباحثين المتزايد عددهم في حقل اللاهوت العربيّ المسيحيّ، كما أنّ الإنسان المثقّف والمسيحيّ سيجدان فيه ما يدعو إلى التأمّل. فأتمنّى كلّ نجاح لمجموعة «الفلاسفة والمتكلّمين العرب المسيحيّين – العصر الوسيط»، التي صدر اليوم كتابها الثاني.

جاد حاتم

---

(٢) إنّ دراسة الأب دكّاش تجهل هذا النصّ، إذ إنّها لا تستشهد (ص ١٩) إلّا بكلمات الأولى، آخذًا من أبي البركات، كما لو كان غير موجود في مؤلّفات أبي رائطه، التي نشرها فراف. فأنبّه هذه القرصة لأشير إلى أفضل دراسة تناولت هذا الكتيّب: Khalil Samir, *Liberté religieuse et propagation de la foi: chez les théologiens arabes chrétiens du IX^e siècle et en Islam*, in «Travaux Yearbook», 1980-1981, pp. 93-164.

(٣) نادرًا ما يستعمل أبو رائطه مفهوم الطبيعة، ويميل إلى استعمال لفظة «الطبع» أكثر من لفظة «الطبيعة». تشير إلى أنّ المتكلّمين المتكلّمين، الذين لا ينتمي إليهم كاتبنا، هم الذين يطابقون عادةً بين الجوهر والطبيعة، لأنّهم، في أغلب الأحيان، يفهمون الطبيعة جوهرًا مّا (الطبيعة بمعنى الانطباع)، وهذا ما نجده عند ابن المقفّع. وبالمقابل، يعتبر المونوفيزيّ ديونيسيوس الأطاكيّ أنّ «الطبيعة» تنطبق على الجوهر وعلى الأقنوم على السواء.

أعلام الأدب العربيّ المعاصر
سِيَر وسير ذاتيّة

إعداد الأب رُوبرت ب. كامِل البوحيّ

سلسلة نصوص ودراسات بيروتيّة يصدرها المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة في بيروت

هار فرانتس شتايتر، شتوتكارت (ألمانيا)، ١٩٩٦، مجلّدان، ١٤٢٦ صفحة

تخصّص الأب روبرت كامبل بالأدب العربيّ الحديث في جامعتَي هارفرد وميشيغان (آن آربور)، ومارس التعليم في جامعة الحكمة اليسوعيّة ببغداد، وهو الآن من الباحثين العاملين في مركز الدراسات للعالَم العربيّ المعاصر CEMAM التابع جامعة القدّيس يوسف في بيروت.

كتابه في «أعلام الأدب العربيّ المعاصر» استغرق عدّة سنوات من الجهود المضنية والصبر والعناد، ونحن شهود على ذلك. وكان هدفه من وراء موسوعته المصغّرة هذه أن يجعل المعلومات الأساسيّة المتعلّقة بسِيَر كبار الأدباء العرب المعاصرين ومؤلّفاتهم في متناول الباحثين والمثقّفين. وقد ضمّ مصنَّفه تراجم ٣٨٠ أديبًا، جلُّهم من المشهورين، وبعضهم القليل من الذين هم أقلّ شهرةً، ولكنّهم يحظون باهتمامات محلّيّة ممّا يجعل نتاجهم جديرًا بالانتباه.

أمّا فئات الأدباء الذين تطرّق إليهم الأب كامبل فإنّها اقتصرت على الشعراء وكتّاب الرواية والقصّة، ومؤلّفي المسرحيّات، والنقّاد، وهي على كلّ حال شرائح يتّسع نطاقها بحيث يشمل السواد الأعظم من النتاج الأدبيّ. وكان لا بدّ من تحديد المواصفات العامّة التي حكمت اختيار أصحاب السِيَر، فارتأى المصنِّف أن يكون كلّ منهم: أديبًا، عربيًّا، معاصرًا، وعنى بتلك السمات ما يلي: «الأديب» هو، في إطار الدراسة، مَن نشر أقلّه عملًا أدبيًّا كاملًا طويلًا يمثّل نزعة أو مدرسة أدبيّة (...) وأن يكون عمله قد ترك سمةً مميّزة». و«العربيّ» هو مَن كتب بالعربيّة باعتبارها لغته الوطنيّة الأمّ. و«المعاصر» هو مَن «وُلد في هذا القرن وظلّ على قيد الحياة إلى ما بعد العام ١٩٧٠، كما نُشر نتاجه الأدبيّ في فترة ما بعد الحرب العالميّة الثانية» (ص ٨).

وممّا لا شكّ فيه أنّ كلّ اختيار يفترض الأخذ بجزء من الكلّ والتخلّي، ببعض التضحية أحيانًا، عن الجزء الآخر. ولولا صعوبة الاختيار هذه، لاضطرّ المُعدّ إلى أن يصدر بدل المجلّدين مجلّدات. وعلى الرغم من الاجتزاء النسبيّ هنا، جاءت المجموعة وافرة شبه وافية، تتّسم خاصّة بتنوّع الوجوه وطباعهم وثقافاتهم وطبقاتهم الاجتماعيّة وتيّاراتهم الفكريّة، ممّا يرسم لوحة غنيّة تعكس حيويّة الأدب العربيّ في عصرنا.

وفي ما يخصّ النهج الذي اتّبعه المصنِّف لاستقاء معلوماته، فقد تمّ على النحو التالي: «أُعدّ استبيان وقُدّم إلى كلّ كاتب تمّ اختياره وطُلب منه أن يزوّدنا (أوّلًا) ببيان عن حياته في سطور، و(ثانيًا) بمقال عن سيرته الذاتيّة لا يتعدّى الألفَين كلمة، و(ثالثًا) ببيوغرافيا تتضمّن مؤلّفاته التي نُشرت على شكل كتاب وبعض كتب أو مقالات مختارة تناولته» (ص ٩).

وزيادةً في إكمال اللوحة وجزئيّاتها، جعل المصنّف لخصيلته ستّ مقدّمات، هي في الواقع أبحاث مستفيضة يراوح طول كلّ منها بين الاثني عشرة صفحة والأربعين صفحة، كُتب معظمها بالإنكليزيّة بقلم أدباء عرب، ونقله إلى لغتنا الدكتورة مؤمنة بشير العوف. وتتناول هذه الأبحاث الفنون الأدبيّة التي استرعت اهتمام المصنّف، مع دراسة نقديّة عن مصادر الأدب العربيّ المعاصر ومراجعه.

فمن هذا العرض تظهر أهمّيّة كتاب الأب كاميل. وهو يفيد العامّة والخاصّة جليل الإفادة لما يوفّره من غزير المادّة التي تضع في متناولهم ما قد لا يجدونه في عدد كبير من المراجع.

وتظهر فرادة هذا السِفر في أنّه يقوم على أقلام أصحاب السِيَر أنفسهم، بما في ذلك من حسنات و... سيّئات. فمن الحسنات أنّ المعلومات تأتيك من مظانّها، ومن السيّئات أنّه يُخشى ألّا يأتيك سوى ما أراده كاتب السيرة، فتكون اللوحة التي رسمها مجتزأة غير واقعيّة بالتمام. ولكن، ومهما يكن من أمر هذا الاحتمال السالب، فإنّه من المفيد جدًّا، لا بل من المؤثّر في كثير من الأحيان، أن تطالع تلك السِيَر الذاتيّة لما تتحلّى به عمومًا من صراحة وطرافة وعمق تحليل. ولئن كان الناس جميعًا أصحاب سِيَر جديرة بالدرس والاحترام، إلّا أنّ الأديب، بما له من رهافة شعور ومقدرة على سبر أغوار النفس البشريّة، ومنها نفسه، يستطيع أن يوفّر لك، من دون سواه، معاناة وخبرات فريدة، تنطلق من الخصوصيّة لتشمل العموم. وهم في ذلك أشبه ما يكونون بالقدّيسين، أسمى الشهود على غنى نفوس البشر.

ولنا في ختام عرضنا وتقريظنا هذا الكتاب الجليل، أمنيتان نسوقهما إلى المصنّف:

١ - الأغلاط الطباعيّة كثيرة، بعضها غير ذي شأن، ولكنّ بعضها الآخر قد يشوّه المعنى. من هذا ما جاء في الصفحة ٤١٣: ريمون «جبّارة»، بتشديد الباء، وهذا ما لن يقبله صاحب الاسم، إذ إنّه يدعى «جبارة»، بالباء غير المشدّدة. ومنها في الصفحة ١٠ - السطر الأخير: النوع الأدبيّ «للكاتب»، والصحيح: «للكتاب». ومنها في الصفحة ٨١٦ - السطر ١٨: صورة «درريان» جراي، والصحيح «دوريان» بالياء لا بالباء، وهو علم معروف ورد في عنوان كتاب لأوسكار وايلد. ومنها ما ورد في الصفحة ٢٥٠ - السطر الخامس: حيث قيل إنّ مجلّة الأديب أُسّست عام ١٩٣٢، في حين أنّ عددها الأوّل صدر في مطلع ١٩٤٢، إلخ... فالأمل أن تصحّح هذه الهفوات في الطبعة الثانية التي بشّرنا المصنّف بأنّها تعدُّ الآن على قدم وساق (ص ١٠).

٢ - في بعض السِيَر إهمال واضح في أسلوب الكتابة لن نحاسب الأب كاميل عليه، بل نلوم أصحاب السِيَر أنفسهم. فإن طالعتَ على سبيل المثال ما كتبه صاحب السيرة الواردة في الصفحتين ١٠٠٧-١٠٠٨ لَهالَكَ ما يعتوره من ركاكة في الأسلوب، وعرض غير مرتّب في الأفكار، وعدم الاعتناء بضبط علامات الفصل، فلا تقبل أن يصدر مثل هذا النصّ عن روائيّ معروف، أو ترفض أن تلقّبه بالأديب. وتقول هذا بشيء من التحسّر على كثير ممّا يصدر في الآونة الأخيرة عن كتّابنا، حيث تُلقى الأفكار على عواهنها من دون اعتناء بالإنشاء الأدبيّ، والعذر الوحيد الواهي أنّ عصرنا لا يأبه للمظهر فيركّز على

الجوهر. تقول: هذا كلام مرفوض، فلا يكون الأدب كاملًا ما لم يُصَغْ بحلّة قشيبة، أو أقلّه سليمة.

٣ - عجبنا لعدم التناسب الصارخ بين لوائح مؤلّفات الأدباء وقوائم المراجع التي تناولتهم بالدرس. فالأولى كانت بالطبع مكتملة لأنّ أصحابها وفّروا عناوينها بدون نقصان يُذكر. ولكن لا نفهم لماذا اقتصرت خانة المؤلّفات «عنهم» في كثير من الأحيان على عنوان أو عنوانين. لا شكّ في أنّ بعض الكتّاب لم ينل نصيبه من الدراسة حتّى يوم كتابته سيرته، ولا شكّ أيضًا في أنّ المصنّف أشار على الأدباء في أثناء استيائه ألّا يذكروا «جميع ما كُتب عن الأديب»، بل «ما اعتُبر مرجعًا وافيًا» (ص ٩). وإنّنا نرى في هذا التدبير الصارم ثغرة. فما ضرّ لو ذُكرت عدّة مراجع إذا ما توفّرت. إذن لعمّت الفائدة بزيادة عدد قليل جدًّا من الصفحات. فهل يُعقل، مثلًا، أن يُذكر في باب المراجع عن روكس بن زائد العزيزيّ، أو عن فؤاد أفرام البستانيّ، مجرّد مرجع واحد يتيم، في حين أنّ المقالات عنهما كثيرة. لذا ندعو المصنّف أن يُعيد النظر في نهجه من هذا القبيل لإكمال الطبعة الثانية، وظنّنا أنّ الأدباء لن يمانعوا.

وختامًا نشكر لحضرة الأب كامل ما قام به من جهود وما قدّمه للمكتبة العربيّة، فكتابه الثمين هذا دخل من الباب الواسع في خزانة المراجع التي لا غنى عنها لكلّ باحث ومريد في أدبنا العربيّ المعاصر.

أ. ك. حشيمه

نظريّة الأدب والمتغيّرات

تأليف الدكتور جودت إبراهيم

حمص، ١٩٩٦، ١٥٨ صفحة

مؤلّفُ الكتاب أستاذٌ مساعد في آداب جامعة البعث بحمص ورئيس تحرير مجلّة الجامعة، وكتابه حصيلة بحث علميّ قام به في جامعة هارفارد العام ١٩٩٥ موفَدًا من جامعته. أمّا المتغيّرات التي تَرِد في العنوان فهي المتغيّرات الدوليّة التي لم يقتصر أثرها على السياسة وحسب، بل شملت مختلف العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة بما في ذلك الأدَب. يتألّف الكتاب من بحث في نظريّة الأدب والنقد الأدبيّ عند العرب في القرن العشرين. ثمّ يتوسّع في دراسة أثر المتغيّرات الدوليّة في الأدب بأمريكا وأوروبّا الشرقيّة ليصل إلى دراسة «الأدب العربيّ والمتغيّرات العالميّة» /٤٥-٨٨/. ثمّ إنّ الكتاب يضمّ ثماني مقابلات /٩١-١٣٦/ مع أدباء من خلفيّات متعدّدة قابلهم المؤلّف أثناء بحثه العلميّ في هارفارد أو من خلال عمله في حمص (نصر الدين فارس وحنّا عبود). من مقابلاته في هارفارد لفتَتْ نظري، بجرأتها وصدقها ودقّة تحليلها، مقابلة مع السوريّة الدمشقيّة الدكتورة سمر العطّار، زميلة الدراسة في آداب جامعة دمشق، حيث كنت في السنوات الأخيرة وكانت في السنوات الأولى، وهي الآن أستاذة في قسم اللغة العربيّة بجامعة سيدني

بأوستراليا. ثمّ إنّ في الكتاب إشارات إلى أمور يحسن أن توضع بإصرار أمام مسؤولي الجامعات العربيّة، وأختار من هذه الإشارات ما يلي:

«إذا ما أُتيح لك أن تزور مكتبة جامعة غربيّة كجامعة هارفارد مثلًا، فإنّك تستطيع أن تجد كلّ الكتب والدوريّات والأعمال التي تصدر في الوطن العربيّ، وأنت لا تستطيع أن تجدها في هذا البلد أو ذاك من البلدان العربيّة. فمكتبة وجامعة هارفارد تحقّق لنا وحدتنا الثقافيّة التي مزّقناها نحن» (ص ٧٦). أقول مثل هذا الكلام منذ عودتي من الدراسة في أمريكا قبل ما يقرب من ثلث قرن. وبالتأكيد قال مِثْله قبلي، وقبل الدكتور إبراهيم، عددٌ كبير ممّن اطّلعوا على عبقريّات المكتبات الكبرى في الغرب، تلك المكتبات التي تتيح تحوّل الطالب الذكيّ إلى عبقريّ في البحث، فالتحليل فالاستنتاج.

جورج جبّور

سِفْر من كتاب امرأة

تأليف جوزف أبي ضاهر

دار كنعان، جنيف، ١٩٩٦، ١٢٨ صفحة

جوزف أبي ضاهر من الوجوه الثقافيّة اللامعة في لبنان، وعطاؤه متعدّد الوجوه متنوّع. فهو رسّام، وهو صحافيّ، وهو أديب صدرت له دراسات في السيرة والتاريخ والنقد، وهو أيضًا شاعر مرهف الذوق والخيال والعبارة. وديوانه الأخير، إن هو سِفْر من كتاب امرأة، فهو سَفَر في كتاب، سَفَر ينطلق بالشاعر غائصًا في عالم المرأة، واصفًا جريئًا، محلّلًا، متحسّسًا، متخيّلًا، متألّمًا متهلّلًا، ثمّ ينطلق مرّة أخيرة في النهاية إلى ما لا نهاية، إذ يهتف ختامًا: «علّمونا: الملائكة تصفّق بأجنحتها والطيور تصفّق بأجنحتها... مَن له أذنان سامعتان فليَتْبَعِ الصدى» (ص ١٢٦).

لقد عَبَر أبي ضاهر وعبَّر. وعلى رفيق سِفْره وسَفَره أن يَعبر. وليستمع إلى عبارته في إيجازها المكثّف وصَقْلها المتلألئ: «الانتظار أشعلني قنديلًا. تسمّرتْ ذاكرتي في الضوء» (١٨)؛ «تغتسلين في النور والليلُ مكانُه» (٣٢)؛ «وكان جوازُ عبورها مهورًا بالعينين» (٤١)؛ «على أطراف الصمت يَنبتُ الكلام، يتعثّر أحيانًا، قبل أن يفارق ترابَه ويُفْرَمَ بالصدى» (٤٧). تقرأ سِفْرَ أبي ضاهر وتسافر في طُرُقه فلا يفارقكَ ترابُها، ويلازمك جَرْسُ أناشيده... والصدى.

أ. ك. حمّيه

١ - عطش في بلاد الينابيع

قصائد ومزامير لبنانيّة

تأليف صبحي حبشي
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ١٦٠ صفحة

٢- أيّها الهارب من الجرح

قصائد وصلوات غاضبة

تأليف صبحي حبشي
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ١٢٠ صفحة

إنّ كتابَيْ صبحي حبشي وُجِدا بالفعل واحدهما قبل الآخر بشهرين تقريبًا بعد أن كانا قصائدَ مبعثرة منشورة هنا وهناك، في هذه وتلك من المجلّات الثقافيّة اللبنانيّة والباريسيّة واللندنيّة.

كتابان توأم، جديدان أنيقان تجمعهما وحدة في التصميم والإخراج، ودقّة في الترتيب والعرض، ونَفَس شاعريّ واحد في الخلق والابتكار، يعزّزه فكرٌ نيّر يشدّ بك إلى الأعماق، وخيال جامح يحلّق بك صوب الأعالي.

الديوان الأوّل، أسماه صاحبه عطش في بلاد الينابيع، وصدّره بمقدّمة للشاعر نجيب جمال الدين جاءت في ستّ عشرة صفحة من الكتاب ذي الإحدى عشرة مجموعة شعريّة، حيث استحوذ الوطن على قسم كبير منها (باسمك أيّها الوطن - عطش في بلاد الينابيع - بين شرق وغرب - على دفتر العاصي - مزامير لبنان). كيف لا، والمؤلّف مثقّف متغرّب يضجّ صدره حنينًا وشوقًا إلى الجذور، (ص ٢٧، ٧٠، ٧٦، ٧٩، ٨١، ٨٣...).

في نظرة سريعة إلى معجم الشاعر تراه مفعمًا بالألفاظ ذات الدلالة التشاؤميّة، على سبيل المثال لا الحصر، (دنّس، أشعل...، الإبحار، الظلمة، الموت، المنابح، الرحيل، الأسى، الدموع، البكاء، الوحوش، الوجع، القيود...، الواهية، خارق... إلخ). إنّها مفردات تجسّد صورًا سودًا قاتمة تكشف لك عالم الشاعر الداخليّ بألمه وحزنه وغضبه، وبصراحة جليّة فاضحة تصوّر ما يراه ويلمسه بحسب رؤية شخصيّة فلسفيّة خاصّة. ولولا وجود الآلهة، والحرّيّة، وخمر الأحلام، وخبز الحنين، والظنون المقدّسة، والروح، لتخاله غاضبًا حاقدًا يائسًا غير مؤمن، لكنّ أنفاقه تنتهي بك إلى نور الأمل والرجاء.

الديوان الثاني، أيّها الهارب من الجرح، قدّم له الشاعر بخواطر في الشعر والحداثة، جاءت على صفحات ستّ، وهي منشورة سابقًا العام ١٩٨٠. مجموعاته الشعريّة ستٌّ أيضًا، تمتاز عن مثيلاتها في الديوان الأوّل بأسلوب المخاطبة والمناجاة الذي يتّجه به إلى

الخالق، تارة سائلًا مستفسرًا:

هل تنفعني خطيتي لتوبتي
أم توبتي لخطيتي؟ (ص ١٣)
قل لي، قل لي،
متى أجدك في غير دمعتي؟ (ص ١٦ إلخ...)

وطورًا داعيًا مناجيًا متمنيًا:

ليتني أنزع عني جبّة الكون
لألبسك عباءة هي الربيع (ص ٢٠)
كن معي في غابتي
التي شرّعتها
على ليلِ الوحوش... (ص ٢٢ إلخ).

إنّ حديث الشاعر إلى الله جليٌّ في هذه المجموعات، يظهر التوق إلى الخالق والتقرّب منه، فهو وحده الحجّة والملاذ. وقد برزت هذه الصور بمفردات أرادها الشاعر معبّرة ساطعة سطوع النور الإلهيّ البهيّ:

أسرج لك خيول أشواقي (ص ١٤)
فأنا لا أحبّك فارسًا
بل هاديًا (ص ١٧)
ردّني إلى قدسك (ص ٢٢)
يا وجهي (ص ٢٤)
هذه كلماتي تترجّاك (ص ٢٦، إلخ...).

هذا الديوان الذي يحمل في عنوانه عنوانًا آخر - قصائد وصلواتٌ غاضبة - يبيّن كيف أنّ الشاعر جمع بين نقيضين: الصلاة في ما تحمله من معاني الدعاء والطلب والاسترحام والتواضع والتقبّل؛ والغضب في ما يفجّره من ثلّة وقسوة ورفض. لكن، أيمكن أن يكون المؤمن إيمانًا حقًّا لا رياء فيه، غير غاضب عاصف متشدّد؟

لقد عبّر شاعرنا في ديوانيه هو المثقّف المتغرّب، المتحرّر من قيود المادّة وبهرجة الألقاب، عن اختلاجات داخله وومضات فكره بشعر حديث حرّ متفلّت من ضوابط الوزن والقافية. فجاء شعره شكلًا ومضمونًا خير دليل على شخصيّته الشعريّة الفذّة. ولم تخلُ قصائده من موسيقى داخليّة، زيّنت السطور بإيقاع وجَرْس تألفهما الأذن وتطلّبهما الكتابة الشعريّة:

التائهين على هواكم
وعلى نزوحكم
من كلمة إلى كلمة
ومن شاطئٍ بماء
إلى شاطئ بصحراء

(عطش في بلاد البنابيع - ص ٢٥)،
فهو ليس كبلدانكم
وليس كنسائكم
ولا هو كأحلام كلابكم
(عطش... - ص ٢٧)،
كيف أنساك يا ربّي
وأنت دربي إلى أجدادي؟
(أيها الهارب... - ص ٥٩)،
تمنّني في مدّك وتجزرني في جَزْرِك
(أيها الهارب... - ص ٧٧)
والشواهد على ذلك عديدة وفيرة.

ديوانان جريئان غاضبان يمثّلان تجربةً شعريّة نسيجَ وحدها، يهواها أصحابُ الجرأة والعنفوان والجسارة، ويخافها ذوّو الخنوع والمسالاة. قد تؤيّد صبحي حبشي في تجربته هذه، وقد لا توافقه، لكنّك حتمًا ستعجب بهذه الطاقة الشعريّة المتفجّرة لأنّها صريحةٌ واضحة صادقة، ولأنّ قلّة قليلة من الشعراء يمكنها أن تحلّق في هذه السماوات.

ويمون حرفوش

Panorama de la poésie libannise d'expression française

par Najwa Aoun Anhoury
2ème édition revue et augmentée
Dar al-Majani, Beyrouth, 1996, 480 pages

الشعر اللبنانيّ باللغة الفرنسيّة

أصدرت نجوى عون عنحوري كتابها هذا في طبعته الأولى عن دار المشرق العامّ ١٩٨٧، وها إنّها تدفع بالطبعة الثانية منقّحةً ومزيدًا عليها، آخذة بعين الاعتبار ما برز من إنتاج بين الطبعتين.

الكتاب ذو شقّين، أوّلهما، وهو يمتدّ على ثلث المجموع، يدرس ظاهرة الشعر اللبنانيّ باللغة الفرنسيّة دراسة مفصّلة، والثاني جَمْع مختارات من نتاج نحو سبعين من الشعراء والشاعرات - وعددهنّ يقارب الثلاثين - مع مقدّمة وجيزة عن كلّ شاعر وشعره. وفي آخر الكتاب فهرس للأعلام وثبت بالمراجع.

وبالعودة إلى الشقّ الأوّل تتناول المؤلّفة مسألة الشعر بالفرنسيّة في لبنان من منطلق جذورها التاريخيّة، ووضع بلد الأرز بصفة كونه أرض لقاء وتمازج وانفتاح روحيّ وثقافيّ. ثمّ تدرس أجيال الشعراء، منذ البداية في أواخر القرن الماضي، وصولًا إلى الجيل الأخير وما أنتجه حتّى السنة المنصرمة. والهدف من هذه الدراسة كما من الكتاب بمجمله إنّما هو تسليط الأضواء على غنى النتاج الشعريّ في لبنان لا سيّما من خلال انفتاحه على ثقافات غير الثقافة العربيّة الأمّ.

وتجدر الإشارة، ليان غنى تعدّد أوجه الثقافة في لبنان، إلى أنّ كتاب نجوى عون عنحوري القيّم يصدر إلى جانب دراسات أخرى غير قليلة وبعضها يوازيه أهمّيّة، عالجت مثله موضوع الأدب اللبنانيّ باللغة الفرنسيّة، كمثل الكتب التالية، وجميعها بالفرنسيّة: رشيد لحّود: الأدب اللبنانيّ باللغة الفرنسيّة، بيروت، ١٩٤٥؛ موريس صقر: مختارات من تآليف اللبنانيّين باللغة الفرنسيّة، بيروت، ١٩٤٨؛ إبراهيم معوّض: بيليوغرافيا المؤلّفين اللبنانيّين باللغة الفرنسيّة، بيروت، ١٩٤٨؛ ساهر خلف: الأدب اللبنانيّ باللغة الفرنسيّة، أوتاوا، ١٩٧٤؛ جوزف سخن: ألوان من لبنان، بيروت، ١٩٧٤؛ غالب غانم: الشعر اللبنانيّ باللغة الفرنسيّة، بيروت، ١٩٨١؛ ألكسندر نجّار: هوام الأدب اللبنانيّ باللغة الفرنسيّة، ١٩٩٣. فهنيئًا للبنان بما أصدر وما زال يصدر، وهنيئًا لدار المجاني التي نشرت مؤلّف نجوى عون عنحوري بالشكل الأنيق الذي يَليق به.

ك. ح.

Histoire du mouvement littéraire
dans l'Eglise melchite du V^e^ au XX^e^ siècle

Contribution à l'étude de la littérature arabe chrétienne
Vol II, tome 1 (634-750)
par Mgr Joseph Nasrallah (+) et le Professeur Rachid Haddad
Editions de l'Institut Français de Damas, Damas, 1996, 215 pages

تاريخ الحركة الأدبيّة في الكنيسة الملكيّة من القرن الخامس إلى القرن العشرين

صمّم المرحوم المنسيور يوسف نصرالله أن يؤلّف تاريخ الحركة الأدبيّة في كنيسته الملكيّة وينشره في عدّة مجلّدات. فصدرت هذه الأجزاء لا بحسب ترتيب التسلسل الزمنيّ، بل بحسب ما تيسّر للمؤلّف من الوثائق وبقدر ما حالفته الظروف. وها القسم الأوّل من المجلّد الثاني يرى النور بمشاركة الأستاذ رشيد الحدّاد، بعد صدور المجلّد الثالث والقسم الأكبر من الجزء الرابع، في حين لم يصدر المجلّد الأوّل وهو قيد الإعداد. وطريقة التأليف هذه غير مألوفة بلا شكّ!

ولكن ومهما يكن، فشأنُ الكتاب هذا شأنُ سائر مؤلّفات العلاّمة الراحل: إنّه مَعين معلومات، منسّقة مؤلّفة على أحسن وجه. وأهمّيّته تكمن أيضًا في أنّه يدرس حقبةً مميّزة من التاريخ العربيّ، هي العصر الأمويّ حيث انطلقت الدولة الإسلاميّة على نطاق واسع، ومعها اللغة العربيّة وآدابها. لا شكّ في أنّ حصّة الأسد في آداب الطائفة المَلَكيّة إبّان تلك الحقبة كانت لصالح الكتابات باليونانيّة، إلّا أنّ المؤلّفات بالعربيّة لم تندر، وهذا ما يتّضح من القسم الأخير في كتاب الأب نصرالله (ص ١٧٣-٢٠٧)، وقد ذهب رحمه الله إلى أنّ القدّيس يوحنّا الدمشقيّ نفسه ألّف بعض كتبه بالعربيّة، وكان بعض كبار العلماء قبله، أمثال الأب يترس البولّانديّ، أكّدوا الأمرَ عينه.

ومنّا يلفت النظر أيضًا أنّ قسمًا كبيرًا من كتاب نصرالله والحدّاد خُصّص بالقدّيس الدمشقيّ، إذ أُفرد له نحو خمس مجموع الصفحات. إلّا أنّنا كنّا نودّ أن يولي المؤلّفان

المزيد من الاهتمام بمساهمة المسيحيّين الملكيّين في ميادين الطبّ والعلوم، فاكتفيا بالمرور بهذا الموضوع مرورًا رأيناه سريعًا، مع الإحالة على بعض المراجع المهمّة. كذلك يفتقر كتابهما إلى فهارس للأعلام، لو وُجدت لأفادت جدًّا وكلّلت هذا العمل الذي يبقى عملًا مميّزًا قلّ نظيره.

أ. ك. ح.

مدخل إلى لبنان واللبنانيّين
تليه اقتراحات في الإصلاح

تأليف جورج قرم، دار الجديد، ١٩٩٦، ٢٢٤ صفحة

مَن يقرأ جورج قرم، المفكّر والمتخصّص بالاقتصاديّات والسياسة والاجتماع، يجد القلق من ناحية، بل المعاناة، وكذلك الفكر المتقدّم. هذا القلق هو على المصير وعلى ضرورة أن يكون الإصلاح حقيقيًّا ومنطلقًا إلى البناء والسلام الاجتماعيّ والديموقراطيّة. إنّ القلق هذا يرافق تحليل المؤلّف وأفكاره في كلّ صفحة وفي كلّ جزء من الكتاب. ربّما كانت بعض معالجته التاريخ غير جديدة تمامًا، كتلك الأطروحات التاريخيّة حول هويّة لبنان بين المتعلّقين بالكيان وأولئك الذين يرفضون ديمومة الكيان وثباته. وكذلك المنهج النقديّ لقراءة تاريخ لبنان وتحرُّره من الأثقال الطائفيّة والدينيّة والإيديولوجيّة بغية فهم الواقع اللبنانيّ. إلّا أنّ قرم يتميّز بأطروحاته المتعلّقة بالإصلاح السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعي. ففي مجال الإصلاح السياسيّ يقول مفرّقًا بين الطائفيّة وحقوق الطوائف: «إمّا أن تكون الطائفيّة إطارًا روحيًّا للمواطنين، فلا تحتاج إلى حقوق بالنسبة إلى الدولة حيث يجب أن ينحصر دورها تجاه الدولة في التأكّد من حياد الدولة في الشؤون الدينيّة والمذهبيّة وتأمينها الحرّيّة الإيمانيّة والفكريّة المطلقة لجميع المواطنين، وإمّا أن تكون إطارًا سياسيًّا في بنية الدولة، وعليها في هذه الحالة الغريبة أن تخضع للمبادئ الحديثة في أنظمة الحكم الهادفة إلى تأمين تطبيق مبدأ المراقبة والمحاسبة» (ص ١٣٢-١٣٣). ومن البديهي أن يدعو قرم الطوائف في لبنان إلى اختيار الإطار الأوّل، لأنّ في ذلك ضمانًا لحقوقها الأساسيّة. وفي الإطار السياسيّ أيضًا نتوقّف على فكرة نبذ الفيدراليّة وإعطاء البلديّة وزنها الحقيقيّ انطلاقًا من المبدأ التالي: حسن إدارة الأوطان يبدأ بحسن إدارة الحيّ المدينيّ أو القرية الريفيّة (ص ١٣٤). ولا شكّ في أنّ الصفحات التي تتحدّث عن الإصلاح البلديّ مدعوّة إلى أن تكون أداة عمل للمسؤولين السياسيّين في هذا المجال. ولا شكّ أيضًا في أنّ الصفحات التي تعرض موضوع انتخاب الرئيس انتخابًا مباشرًا من الشعب، ثمّ قانون الانتخاب وقانون الأحوال الشخصيّة، هي أساس للتفكير السياسيّ السليم. أمّا الإصلاح الاقتصاديّ الاجتماعيّ تحت عنوان «نعم للدانمارك لا لموسّي كارلو» (ص ١٧٢)، فهو يوجز فكره في تنمية الصناعات الصغيرة المتقدّمة نوعيًّا بدل الفرق في سياسات المضاربات الماليّة والمقامرة. عنا أيضًا عودة إلى أهمّيّة البلديّات، وفي ذلك مَثَل بلديّات الزوق، وحمّانا وغيرهما...

وإذا كان الموقف من سوريا قد سجّله قرم بمثابة ملحق يتحدّث عن «المشوار السوريّ» في لبنان، «حيث إنّ قضيّة الوجود السوريّ في لبنان تستغلّ في مجال الفكر والثقافة لإرجاء البحث في أهمّ الموضوعات حول الكيان والإصلاح»، فإنّ كتاب جورج قرم بفصوله مجتمعة يشكّل ملفًا شاملًا أساسيًا للباحث والمفكّر والمتمرّس والسياسيّ، ومحطّة يمكن الإفادة منها في الكثير من القضايا والمهمّات الإصلاحيّة النوعيّة.

الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

كنيسة القدّيس سمعان العموديّ
وآثار جبلَيْ سمعان وحلقة

تأليف المهندس عبدالله حجّار
قدّم له المطران غريغوريوس يوحنّا إبراهيم، متروبوليت حلب
دار ماردين، حلب، ١٩٩٥، ٢٧٦ صفحة

هذا المصنَّف قلّ نظيره في العربيّة. فما هو متوفّر حتّى الآن في بابه لا يتعدّى الكتاب أو الكتابين، ولا يفي بالموضوع على نحو ما وفى به المهندس عبدالله حجّار كمًّا وكيفًا.

فمن حسنات مؤلّف الأستاذ الحجّار أنّه استند إلى كلّ ما دوّنه المؤرّخون والبحّالة والمنقّبون وعلماء العاديّات حول موضوعه، فولّف مادّته وأخرجها بتبويب واضح وشرح مسهب، وأضاف إليها الكثير من ثمار دراساته النظريّة والميدانيّة الخاصّة. وإنّك لتستشفّ تلك المسحة الشخصيّة على مدى صفحات الكتاب، تثبت ما لصاحبها من طول باع وخبرة، وما يختلج في صدره من شغف بموضوعه الخطير. كيف لا وهو ابن حلب الشهباء جارة جبل سمعان وكنيسته الشهيرة، وهو إلى ذلك مدرك أهمّيّة آثار تلك المنطقة كلّ الإدراك. إنّه ليأخذ منك العجب والإعجاب كلّ مأخذ وأنت تكتشف تعدّد الأديار والكنائس والصوامع على نحو كثيف إلى هندستها الرائعة، وهراتتها في الزمن، إذ يعود بعضها، لا بل الكثير منها، إلى أواخر القرن الرابع، فتثبت للملأ تأصّل المسيحيّة في سورية ودورها الرائد في إطلاق الحياة النسكيّة ونشرها [٥].

لقد وزّع المؤلّف مادّته على ثلاثة فصول أضاف إليها ملاحق ثلاثة. في الفصل الأوّل (ص ١-٨١) دراسة حياة القدّيس سمعان العموديّ وكنيسته في إطار جبل سمعان جغرافيًا وتاريخيًا، مع نظرة مستفيضة إلى دراسات الباحثين والرحّالة حول الموضوع. في الفصل الثاني (ص ٨٢-١٧٧) وصف دقيق لأهمّ المواقع الأثريّة في جبلَي سمعان وحلقة. أمّا الفصل الثالث (ص ١٧٨-٢١١) فيبرز بعض خصائص فنّ العمارة والكتابات في قرى شمال سورية، ويفرد حيّزًا من صفحاته للتعريف بأهمّ الروّاد والدارسين الذين عُنُوا بالموضوع. وقد أضاف المصنِّف إلى فصوله هذه ملاحق جُميل أوّلُها كشّافًا لأسماء المواقع الأثريّة

(٥) أحصى في تلك البقعة، وساحتها لا تتعدّى ٢١٠ كم٢، ٦٣ ديرًا و٤٢ تامكًا عموديًا، وقدّر عدد الرهبان الذين عاشوا هناك في زمن سمعان بـ ٨٢٢ راهبًا (ص ١٨).

بحسب الترتيب الألفبائيّ، والثاني جدولًا بالأحداث والمحطّات التاريخيّة بدءًا من الإسكندر المقدونيّ، وخصّص الثالث للمصطلحات الأجنبيّة ومقابلها بالعربيّة. أضف إلى ذلك فهارس للمراجع والخرائط ومجموعةً وافرة من الصور الشمسيّة والرسوم الهندسيّة.

هذا العرض السريع لمضامين الكتاب يبيّن أهمّيّته ويوجب علينا شكر المؤلّف والناشر لما قدّماه. ولمّا كنّا بدورنا من الغيارى على هذا الموضوع الخطير، نقترح على المصنّف الكريم بعض ما قد يفيد في طبعة ثانية:

- يستحسن تشكيل أسماء الأعلام غير العربيّة، أقلّه عند ورودها للمرّة الأولى، منعًا للالتباس في القراءة.
- طريقة نقل هذه الأسماء إلى العربيّة مضطربة لم يُتّبع فيها منهج واضح صارم، إذ كثيرًا ما نُقلت بحرفيّتها عن الصيغة الأجنبيّة: تيودوره Théodoret بدلًا من ثيودُوريطُس (ص ١١)، مرسيان Marcien بدلًا من مَرْقِيانُس (ص ١٧)، مارك أنطونير Marc Antoine بدلًا من مرقُس أنْطونيوس (ص ٢١٥)، مارك أوريل Marc Aurèle بدلًا من مرقس أوريليوس (٢١٦)، فيليب العربيّ بدلًا من فِيلِبُّس (٢١٦)، ألكسندر سيفيروس بدلًا من إسكندر ساوِيرُس، إلخ. ويمكن الرجوع في هذا الباب إلى الأسلوب العلميّ الذي اتّبعه الأب صبحي حموي اليسوعيّ في مصنّفه الممتاز معجم الإيمان المسيحيّ، دار المشرق، ١٩٩٤.
- ورد في نقل المصطلحات الفرنسيّة (ص ٢٢١-٢٢٩) الكثير من الأخطاء الإملائيّة والطباعيّة: accanthes، annunciation، hermite، cercueuil، agriser بمعنى ضَقل (؟)، vertue، flânant بمعنى تطواف (؟)، cieste، إلخ - كذلك نشير إلى أنّ الهيكل الثلاثيّ هو بالفرنسيّة Sanctuaire tripartite لا triparti (ص ٥٩)، وأنّ كلمة tierce لا تعني صلاة الفرض الكنسيّ، بل صلاة الساعة الثالثة في هذا الفرض، وهي من المؤنّث لا من المذكّر (ص ٢٠)، وأنّ ديونيسيوس الصغير هو باللاتينيّة D. Exiguus لا Exigus كما ورد في الصفحة ١٩٥.

ومهما يكن من أمر هذه الهنات، نكرّر في الختام ثناءنا على صاحب الكتاب لأنّه أغنى المكتبة العربيّة بمرجع لا غنى عنه لدراسة تاريخ بلاد الشام الدينيّ والمدنيّ.

أ. كميل حشيمه

1. Balamand. Histoire et patrimoine

par Saoud A. Sibai

Editions Dar An-Nahar, Beyrouth, 1995, 116 pages

2. La communauté monastique de Deir el Harf

par Houda Kesrouy

Université de Balamand
Section de documentation et de recherches antiochiennes
1996, 92 pages

١ – بلمند. التاريخ والتراث
٢ – جماعة دير الحرف الرهبانيّة

أوّل ما يتبادر إلى ذهن القارئ العربيّ أنّ هذين الكتابين، المخصّصين بدراسة صرحَين من صروح الروحانيّة المشرقيّة، ألّفا باللغة الفرنسيّة. ولكنّنا لن نعجب إذا ما عرفنا أنّ الباحثين إنّما تبغيان مخاطبة جمهور غربيّ شديد الاهتمام بآثارنا وتراثنا العريق، وهما، بلا شكّ، ستخصّان قرّاء العربيّة بطبعة مترجمة إلى لغة الضاد في أقرب مناسبة.

ولئن كان ثمّة من عجب فهو غنى الثقافة في لبنان، وتعدُّد وجوهها، وتمكُّن كثير من الكتّاب اللبنانيّين من اللغات الأجنبيّة إلى جانب لغتهم الأمّ كما هو حال المؤلّفتين الكريمتين اللتين لهما كتابات بالعربيّة أيضًا.

وقد أحببنا أن نعرّف بهذين الكتابين معًا لأسباب لا تخفى على اللبيب: فالموضوعان المعالجان فيهما توأم، ومصدرا النشر شقيقان، علمًا أنّ البحث الأوّل طُبع بمساهمة جامعة البلمند مثله مثل شقيقه، ثمّ إنّ المؤلّفتين تعملان معًا في مركز الأبحاث الأنطاكيّة في الجامعة المذكورة.

الكتاب الأوّل، في «البلمند»، وجَدَ في السيّدة سُعاد سليم أبو الرّوس خيرَ مَن يفيه حقّه. فهي، فضلًا عن إدارتها مركز الدراسات الأنطاكيّة، تدرّس في جامعتَي البلمند والقدّيس يوسف اليسوعيّة، ولها عدّة أبحاث عُنيت بالتراث الأنطاكيّ الأرثوذكسيّ. ولقد أعلنت بتواضع علميّ يشرّفها أنّ بحثها مرجّه إلى «الجمهور الواسع» (ص ١٣) أي إنّها لم تدّعِ أنّها أتت ببحث يهمّ ذوي الاختصاص لأنّها، بحسب ما قالت، لم تتمكّن من الوصول إلى محفوظات الـــترسيّين والأرشيف العثمانيّ. إلّا أنّها وإن لم تلجأ إلى بعض من أمّهات المصادر فقد عرفت كيف تفيد من مراجعها وتستخلص استنتاجاتها وتبرزها متكاملة جليّة، فضلًا عن أنّها رجعت إلى مصادر حديثة أضافت الكثير إلى موضوعها، فجاءت بالجديد الكثير بحيث سيفيد من عملها الاختصاصيّون أيضًا.

أمّا تصميم الكتاب، فلا يغفل شيئًا ممّا يهمّ الموضوع: نظرة تاريخيّة في البداية، لم يفت فيها المؤلّفة أن ترُدّ مزاعم مَن نسبوا فضل بناء الدير إلى الأورثذكسيّين لا إلى الـــترسيّين؛ دراسة عمارة الدير (الفصل الثاني)؛ غنى الدير التراثيّ (الفصل الثالث):

المخطوطات التي فيه رقيمتها، مدرسته في مختلف مراحلها حتّى إنشاء الجامعة في السنوات الأخيرة، الأيقونات التي يحويها ومصوّروها وأسلوبهم الفنّيّ؛ وفي الختام بيليوغرافيا مكثّفة غنيّة.

وما يزيد في قيمة الكتاب أنّ مظهره يوازي جوهره أناقةً ودقّةً في الإخراج، تتخلّله صور شمسيّة في غاية الجمال، صاحباها السيّدة هدى قساطلي، والسيّد وليف ناصيف.

وفي الكتاب هنات طفيفة يحسن استدراكها في طبعة ثانية:

- لدى ذكر المؤلّفات العربيّة في ثبت المراجع، تُقلت العناوين تارة بلفظها الأصليّ وطورًا بترجمتها الفرنسيّة، فيحبَّذ التوحيد، وعلى النحو الأوّل ما أمكن.
- حُلّ عنوان مجلّتنا المشرق إلى الفرنسيّة بصيغتين مغايرتين للصيغة «الرسميّة»، فورد مرّةً Al-Mashriq (ص ٣٣) ومرّة أخرى Al-Machriq (ص ١١٢). أمّا الكتابة التي نعتمدها فهي Al-Machriq، وكلُّ صاحب اسم يتمسّك بصيغته الأصيلة المحبّبة!
- لغة الكتاب فرنسيّة خالصة لا تخلو من الأناقة، ولكنّ عفريتًا ما أصرّ على إقحام بعض الأغلاط المطبعيّة الذميمة: Accoustiques (ص ٤١)، والصحيح Acoustique؛ Martyrologue (ص ٤٥) والصحيح Martyrologe.

ولنا في الختام، أمنية. لقد أشارت المؤلّفة في معرض كلامها على مطبعة حلب (ص ٣١-٣٣) إلى تضارب الرّوايات في أصلها: هل أنشأها البطريرك أثناسيوس تبّاس (Dabbas لا Dibbas كما ورد سهوًا في ص ٣١) في الشهباء، أم الشمّاس عبدالله الزاخر في دير الشوير؟ المسألة جديرة بالدراسة، ويمكن الدكتورة سليم أن توكل إلى أحد طلاّبها الخوض فيها بحثًا لأطروحة.

الكتاب الثاني، في «جامعة دير الحرف الرهبانيّة»، يؤدّي خدمةً جلّى لمعرفة تاريخ الحياة الديريّة في بطريركيّة أنطاكية الأرثوذكسيّة. وقد صاغه مصنّفته - ومَن عاونها في قسم منه: إيلي أبي ناصيف وربما سمين - بتأنّ وعاطفة باديين يتمّان على تعلّقها الصادق بتراثها وغناه. وقد أبرز ثراء هذا التراث الرهبانيّ المشرقيّ وضرورة العودة إليه في مقدّمةٍ سامية المعاني عميقة الغور دبّجها مشكورًا سيادة المتروبوليت جورج خضر.

أمّا أقسام الكتاب فاثنان رئيسان: أوّلهما خُصّص بتاريخ الدير وحياة الرهبان فيه وما طرأ عليه من تجدُّد، والثاني عالج وجه الدير الأثريّ إن من ناحية فنّ العمارة أو من جهة ما يحتويه من أيقونات. وأُفرد في الختام عدد من الملاحق عُنيت برؤساء الدير ومدرسته وأملاكه ونتاجه الفكريّ.

إنّ دراسة السيّدة هدى قساطلي، على إيجازها النسبيّ، تعجّ بالمعلومات الفريدة المبتكرة الموثّقة، والإنجاز الفنّيّ دقيق أنيق، يشهد على ذلك خاصّة جمال الصور الفوتوغرافيّة ودقّة صنع الرسوم البيانيّة. وإن يؤسف على أمر فعلى خلل شكليّ وحيد طاول المرحوم العلاّمة الأب فيه الدومنيكيّ. فإذ صيّرت له المؤلّفة عن شكرها ذكرت اسمه مشوّهًا هكذا Mounir Fish..في حين أنّ اسمه الصحيح - والمره باسمه متمسّك - Jean Mounir Fiey. ولكنّ المرحوم سيغفر هذه الهفوة بما عرف به من رحابة صدر وروح فكاهة.

بقي أن نطرح سؤالًا على هامش هذا التاريخ: كيف نفسّر أنّ عدد رهبان الدير لم يزدَد زيادة تُذكر منذ إعادة الحياة الديريّة إلى رحابه في العام ١٩٥٧؟ أهو عدم اكتراث المسيحيّين الأنطاكيّين، لا سيّما الذكور، بالنمط النسكيّ؟ ونلاحظ هذه الظاهرة نفسها عند الرهبانيّات الكاثوليكيّة في بلادنا العربيّة. فمع وفرة الدعوات إليها وكثرة الرهبان والراهبات، فإنّ الانصراف إلى الحياة التأمّليّة الصرف قد ندر وتحوّلت جمعيّات سجوديّة محصّنة إلى جماعات عمليّة محضة. أفليس في ذلك خسارة؟

وفي ختام الكلام على كتابَي السيّدتين سليم وقسّاطلي نقول: شكرًا لهما لأنّهما أبرزتا بوضوح ومحبّة منارتين من منائر الروح والفكر في بطريركيّة أنطاكية الأرثوذكسيّة. فكلٌّ من هذين الصرحين هو أكثر من متحف حَفِظ لنا ثروةً تراثيّة وحضاريّة، بل هو ذاكرة تزكي في الخَلَف رغبة الشبّه بالسَّلَف لمتابعة السيرة صعدًا، ليكون المَشْرِق مشرقًا حقًّا، اسمًا على مسمّى.

أ. ك. حشيمه

١ - مستشفى القدّيس جاورجيوس للروم الأرثوذكس (١٨٧٧-١٩٣٤)

تأليف مارلين نجيب حيدر

منشورات مطرانيّة الروم الأرثوذكس، بيروت، ١٩٩٦، ١٤١ صفحة

٢ - مدرسة «زهرة الإحسان»

خصائص النشأة والتطوّر من خلال «عقد الجمان»، ١٨٨١-١٩٢٨

تأليف جميلة كرمتا كرستي

منشورات مطرانيّة الروم الأرثوذكس، بيروت، ١٩٩٦، ٢٤١ صفحة

كتابان شبيهان من أوجه كثيرة. كلاهما يعالج موضوعًا يتعلّق بمؤسّسة كبيرة من مؤسّسات الطائفة الروميّة الأرثوذكسيّة في بيروت، إحداهما مشفى عريق والثانية صرح تربويّ شهير. كلاهما نُشِر بإشراف مرجعيّة دينيّة كريمة واحدة. وكلّ منهما هو أصلًا رسالة جامعيّة في علم السكّان وبإشراف أستاذ واحد من أساتذة الجامعة اللبنانيّة، وكلّ منهما جعل حدود بحثه الزمنيّة منتصف الربع الأخير من القرن الماضي وأواخر الثلث الأوّل من قرننا الحالي. وهذا الكتاب وذاك قيّمان عميما الفائدة.

١ - مستشفى القدّيس جاورجيوس

المؤلّف كتابة عن دراسة مونوغرافيّة واضحة المنهجيّة، مرتّبة التصميم، موثّقة توثيقًا صارمًا. خُصّص المدخل بطرح الموضوع وشرح المنهج المتّبع، ثمّ تناول القسم الأوّل الأوضاع التي انطلق فيها المشفى، من سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وديمغرافيّة، وبذلك

وفّرت لنا الباحثة صورة ليروت ذلك الزمن دقيقة حيّة. ودرس القسم الثاني مراحل تطوّر المستشفى مع التركيز على أوضاع المرضى وهيئة الأطبّاء والشؤون الإداريّة والماليّة. والدراسة مشفوعة بوفرة من التقارير والجداول والرسوم البيانيّة، فلا يفوتك شيء من أسماء الأطبّاء وأعداد المرضى وانتماءاتهم المذهبيّة وتوزيعهم بحسب الجنس والعمر ومكان السكن. ولائحة المصادر والمراجع غنيّة بالعناوين العربيّة والأجنبيّة، ولكن نأسف على غياب فهرس بالأعلام كان من السهل إعداده، ولَوفَّر، في حال وجوده، خدمةً جُلّى للباحثين.

كما أنّنا نأسف أن يشوب مثل هذه الرسالة القيّمة إهمالٌ من جهة اللغة والإنشاء. فلئن كان أسلوب الكتاب سلسًا على وجه الإجمال، إلاّ أنّ الأغلاط اللغويّة فيه كثيرة، ومعظمها من الغلط الشائع الذميم الذي يسهل استدراكه. وها إنّنا نورد بعضًا قليلًا من أنواعه، علمًا أنّ كلّ نوع تردّد مرّات ومرّات: بالنسبة لِ (ص ١٤) بدلًا من «بالنسبة إلى»؛ وضعوا المرضى سويًا (ص ١٧) بدلًا من «وضعوا... معًا»؛ بحيث أنّ (ص ١٧) بدلًا من «بحيث إنّ»؛ الحياة اليوميّة للمواطنين (ص ١٧-١٨) بدلًا من «حياة المواطنين اليوميّة»؛ سؤال يطرح نفسه (ص ١٨) بدلًا من «سؤال يُطرح»؛ داخل وخارج المشفى (ص ٢٠) عوضًا عن «داخل المشفى وخارجه»؛ خلال حكم السلطان (ص ٢٥) عوضًا عن «في أثناء حكم...»؛ تيسّر لهم الإتّصال - بهمزة القطع - (٢٥)، بدلًا من استعمال همزة الوصل؛ الأخاء (٢٩)، والصحيح «الإخاء»؛ الوالي أصبح يملك مجلسًا (٣٠)، وهل المجلسُ مِلك له ورثه عن أبيه؟ والصحيح: «أصبح لدى الوالي مجلس»؛ تمخّضت على (ص ٣٢) والصحيح «تمخّض عن»؛ علاقاتها ببعضها البعض (٣٥) بدلًا من «علاقاتها بعضها ببعض»؛ الإلفة (٣٥)، والصحيح «الألفة» بالضمّ؛ ولن نطيل اللائحة على ما في ذلك من نفع خشية الإزعاج (رهنا همزة القطع صحيحة!). ولئن نحن سُقنا هذه الشواذات، فلتنبيه الباحثين الشبّان والمشرفين عليهم من أساتذة الجامعة، إلى ضرورة إتقان اللغة أو أقلّه تنقيتها من الأخطاء. فلا يجوز إهمال المظهر بحجّة أنّ الجوهر هو الأهمّ، وهل يقبل أحدنا أن يغطّي جسمه النظيف بثياب رثّة؟

وثمّة خلل آخر نأمل أن تصحّحه المؤلّفة لاحقًا، وهو عدم التناسق بين أرقام الحواشي في المتن والهوامش، ممّا يزعج القارئ كثيرًا. فأرقام الهوامش تبدأ في كلّ صفحة بالعدد الأوّل، في حين تتبع أرقام المتن تسلسلًا لا يعود بدءًا عند كلّ صفحة جديدة.

٢ - مدرسة زهرة الإحسان

هذا الكتاب هو كسابقه دراسة مونوغرافيّة، ومنهجيّته واضحة، وتصميمه مترابط، وتوثيقه وافر دقيق. والموضوع مهمّ لأنّه يدرس مدرسة أعطت الوطن كثيرًا، ووضعُها فريد لأنّها الوحيدة في طائفة الروم الأرثوذكس ترعاها رهبنة، في حين ينحصر عمل الرهبنة الأرثوذكسيّة عامّةً في الأديرة والكنائس.

تستند الدراسة إلى مجموعة من الوثائق أهمّها قانون المدرسة ومقالات في الصحف

وخاصّة نشرة «عِقد الجمان» وهي خلاصة أعمال جمعيّة زهرة الإحسان. وتنطلق الباحثة، بعد تحديد الموضوع ومنهجيّة العمل، ووصف المصادر وتقويمها، إلى إبراز الظروف التاريخيّة التي نشأت فيها المدرسة وواقع التعليم والثقافة في ذلك الحين. ثمّ تصف طور تكوين المدرسة، وتوضح قوانينها وتصوّر مسار التعليم فيها وتطوّره. ولا يفوتها دعم طروحاتها وشروحها بعدد كبير من الجداول الدقيقة والرسوم البيانيّة الواضحة، إلى جانب صور شمسيّة وصور وثائق قديمة. ولئن كانت المصادر وافية، إلاّ أنّنا كنّا نتمنّى أن يتبعها فهرس بالأعلام لتعمّ الفائدة.

وكذلك نلفت نظر الباحثة الهمّامة إلى ما وقعت فيه، هي أيضًا من أغلاط لغويّة غير قليلة، لن نطيل في عرضها ونكتفي بالقليل على سبيل المثال: أسماء وأعمال المتوفّين (ص ٨٤)؛ ارتباط عدد السكّان في نموّ التجارة (ص ١٤٢)؛ معرض الأشغال اليدويّة الواقع فيه خميس الصعود؛ الطرائف غير البيّنة (ص ٤٣)؛ هذه الإمتيازات (٤٣)، في الإختلاف (٢٣٥)؛ العلوم الإجتماعيّة (٢٣٧)...؛ حيث أنّ (٢١٢)؛ الوضع السكّانيّ للطائفة (٥٤)؛ اليوم الواقع فيه خميس الصعود (١٠٤)؛... - كما تشير إلى غلط، لعلّه مطبعيّ، لكنّه فاحش، إذ ورد في الصفحة ٦١ ذكر «راهبات القبر الأقدس»، والمفروض «راهبات القلب الأقدس»! وكذلك نلفت الانتباه إلى ضرورة تحاشي استعمال لفظة «كاثوليك» عوضًا عن «الروم الكاثوليك»، فالأولى درج عليها العامّة، وهي تبعث على الالتباس لا سيّما إذا ما وردت بالقرب من لفظة «المرارنة» الذين هم أيضًا كاثوليك (اطلب جدولَي الصفحتين ٥٦ و٥٧).

مهما يكن من هذه الهفوات الخارجيّة، فإنّ كتاب الباحثة جميلة كوستي مهمّ لأنّه يدرس من خلال معهد زهرة الإحسان، مرحلة من تاريخ لبنان التعليميّ والتربويّ.

وفي ختام الكلام على المؤلّفين الشقيقين نثني على الباحثتين مثمّنين ما بذلتاه من جهود، راجين أن يقتدي الكثيرون بما قدّمتاه، لأنّه بمثل هذا النوع من الدراسات المونوغرافيّة توفّر اللبنات المتينة لبناء صرح تاريخ بلادنا.

أ. ك. حشيمه

محمّد سعيد الزعيم، رجل الاقتصاد والأدب
١٩٠٥-١٩٦٣

تأليف ابنته أميّة الزعيم

مطابع ألف باء - الأديب، دمشق، ١٩٩٦، ٣٨٤ صفحة

تقرأ هذا الكتاب الشائق فلا تشعر بالوقت ينوب بين يديك وأنت تلتهم الصفحة تلوَ الصفحة، من الدفّة إلى الدفّة. فالمؤلّف طريف ظريف، مفصّل جامع، هدفه سيرةُ عظيم من سورية وأسلوبه لوحات شاملة وملاحظات مدقّقة، إلى سلاسة في الكتابة ورقّة في المشاعر.

صاحب السيرة من الرجالات الذين صنعوا تاريخ القطر السوريّ الحديث. إبن أسرة مرموقة بالجاه والعلم والوطنيّة والجهاد، توصّل بعصاميّته إلى أرقى المناصب في الدولة وزيرًا للمال والاقتصاد، وساهم في نهضة بلاده التجاريّة والصناعيّة. وإلى ذلك كان أديبًا محبًّا الأدباء، مثقّفًا عربيًّا منفتحًا على الثقافات الأجنبيّة يوم كانت تيّارات الوطنيّة المتشدّدة تدعو إلى الانغلاق. وكان أيضًا إنسانًا اجتماعيًّا عرف التوفيق بين الثراء وواجب العدالة والمشاركة، وربَّ عائلة قرن بين التمسّك بالتقاليد الحميدة والانفتاح على الأساليب الحديثة.

ولقد أجادت ابنة صاحب السيرة في رسم صورة والدها بخير أسلوب، فعرفت كيف تتجنّب الانزلاق في كثرة الإطراء، إذ «كلّ فتاة بأبيها معجبة» كما لاحظت، وصوّرت معالم وجه الوالد وأبرزت أعماله بخفر تتخلّله بوارق عطف واحترام محبّبين. وحسنًا فعلت إذ تركت لسواها إبداء الرأي معها في الوالد، فأوردت بعض ما قيل في أبيها من خلال عدد من الصحف، وشهادات لأنباء له، لفتنا منها ما جاء بقلم ابن أخيه الاقتصاديّ الدكتور عصام الزعيم (ص ١٦-٣٠).

والجميل المفيد في كتاب السيّدة أمية أنّها لم تكتفِ بكتابة سيرة والدها كتابةً ناجحة، بل رسمت في الوقت نفسه لوحة طريفة حيّة للمجتمع التي عاشت فيه، فبرزت سيرة الشخص في خلفيّة من الأحداث العائليّة والمجتمعيّة، أبطالها النسيب، والمدرسة والمدرّس، والمربّية والطاهي، والعامل الوضيع ورجل الدولة الخطير، والجار والصديق. ويأخذ منك التأثّر كلّ مأخذ عندما تطالع ما وصلت إليه حلب من علاقات حسن الجوار بين أبناء الطوائف المختلفة، علاقات يسودها الاحترام المتبادل والتعاون في صغار الأمور وكبارها. كما لا تتمالك من البسْم والانشراح حينًا بعد حين لأوصاف وتعليقات تنمّ على روح فكاهة المؤلّفة ودقّة ملاحظتها. إسمعها تقول في معرض تسميتها بأمّيّة: «حصلت على اسم ذُكّر فيه كلّ حزّة القبائل العربيّة. وهذا الاسم أعطاني دفعًا نحو السموّ. إسم الإنسان يرافقه ويوحي إليه، ولو أنّه قد يخلق مفارقة، فيكون السعيدُ شقيًّا، والنيلُ دروبيًّا، والكريم بخيلًا» (ص ٩٥). واسمعها أيضًا تروي قصّة الخيّاطة أنطوانيت، شبه الأمّيّة المخلصة التي تقدّم في آخر كلّ شهر كشفَ حسابها الطويل الطويل - وغير العريض - بلغة عجيبة وإملاء غريب (ص ١٤٤). طالع ما تقوله في علاقتها بالشعب الأرمنيّ النشيط (ص ١٤٣) وما تخبرك عن شيطناتها الصبيانيّة وسواها من الأحداث، تجد أنّك أمام كاتب إنسانيّ يزداد إنسانيّة بقدر ما يبتعد أسلوبه عن التكلّف.

وقد أفردت المؤلّفة القسم الثاني من كتابها (ص ١٧٥-٣٧١) لثلاثة آثار خلّفها والدها وقد ظهرت في مقالات يصعب الرجوع إليها، وطُبع أحدها في كتاب فقد فور صدوره، فأرادت بذلك تسهيل الطريق أمام الباحثين والمطالعين، وعناوين الآثار الثلاثة هي الآتية: «كتاب الاقتصاد»: تقرير عن الأحوال الاقتصاديّة العامّة في سورية، ٢٠ صفحة، حلب، ١٩٥٠؛ «كتاب الرحلات»: رحلة إلى الشمال الأفريقيّ ووقفة على أطلال الأندلس، حلب، ١٩٥٧ (٩٠ صفحة)؛ «كتاب مدينة أبي الفداء» (حماه): خواطر عن الحياة الفكريّة والقوميّة في مدينة أبي الفداء في العشرينات وعن مساهمتها في الثورة السوريّة

على الفرنسيّين، حلب، ١٩٦٢ (٦٠ صفحة، وهو في الأصل أطول). ومَن يطالع ما كتبه محمّد الزعيم، الصناعيّ الهمّام ورجل الاقتصاد الفارق في نشاطه الماليّ العمليّ، يوافق على ما قيل فيه من أنّه «لم يكن تاجرًا أحبّ الأدب، بل كان أديبًا عمل في التجارة».

فالشكر للمؤلّفة الأدبية وعسى أن يحذو حذوها الكثيرون ليخلّدوا أعلامًا بنت الأوطان ورفعت شأن الإنسان كما فعل محمّد سعيد الزعيم.

أ. كميل حشيمه

أبونا يوسف الجبيليّ، ١٨٨٧-١٩٣٤

تأليف الأب بطرس سعادة

منشورات اليوبيل المئويّ الثالث للرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، ١٦

دير مار أنطونيوس، ضهور (لبنان)، ١٩٩٦، ١٩٢ صفحة

أصدرت الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة في السنتين الأخيرتين، ولمناسبة احتفالها بيوبيلها المئويّ الثالث، سلسلةً من الكتب تجلّت من خلالها صفحات مشرقة من تاريخ هذه الجمعيّة العريقة ووثائقها وقوانينها ورجالاتها وروحانيّتها. ومصنّف الأب بطرس سعادة: «أبونا يوسف جبيليّ»، هو السادس عشر في سلسلته، ونأمل ألّا يكون الأخير.

قَسَم المؤلّف كتابه ثلاثةَ أقسام: أوّلها روى فيه حياة الأب يوسف الجبيليّ منذ ولادته حتّى مماته، والثاني توسّع في روحانيّة صاحب السيرة وفضائله. أمّا القسم الثالث فتوقّف على الآيات التي جرت بشفاعة الأب يوسف في حياته وبعد وفاته، وسمّاها قيامة ميت!

أسلوب المؤلّف شائق مبتكر، يروي الأحداث ويُبرز الفِكَرَ بجمل سريعة خاطفة كأنّها أضواء كاشفة تسطع ومضاتٍ فتنير ناحيةً ثمّ تغيب لحظة ثمّ تعود، فتترك للمشاهد فترات وجيزة يخلد فيها إلى التأمّل والاستنتاج. وما قاله المؤلّف في صاحب ترجمته مفصّل بدون إسهاب، مقتضب بدون جفاف، على شيء من الخَفَر الممزوج بنفحة من الشاعريّة، ممّا يليق بسيرة راهب عاش متقشّفًا متجرّدًا عن القشور ليقترب من خالقه معين السعادة القصوى.

يُشكر حضرة المؤلّف لأنّه ضمّن كتابه الفائدة العلميّة مقرونة بالروحيّة، وحبّذا لو تكتب سِيَر رهبان آخرين ممّن نبغوا في ميادين شتّى، لأنّ للرهبان دورًا مميّزًا، أدّوه في الماضي وما زالوا، في خدمة الدين والدنيا على السواء.

ك. ح.

أقوال الشيوخ
حِكَم آباء البرّيّة

إختارها ونقلها إلى العربيّة الأب كميل حنّيه اليسوعيّ
سلسلة «التراث الروحيّ»، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ١٥٦ صفحة

قليلة هي نصوص النسّاك المتوحّدين في البرّيّة المتوفّرة في العربيّة. فإن استثنينا كتاب أقوال الآباء الشيوخ الصادر في العام ١٩٨٣ عن منشورات النور البيروتيّة وبهمّة ممهد القدّيس يوحنّا الدمشقيّ في البلمند، وكتاب بستان الرهبان الذي رصت مراجعته وطبعه طبعة ثانية منقّحة مطرانية بني سويف والبهنسا في مصر، العامّ ١٩٧٧، نكاد لا نجد شيئًا يشفي الغليل من هذا القبيل. ولم يفت الجامع الناقل أنّ «الكلمات» التي تفوّه بها هؤلاء الشيوخ والأعمال التي قاموا بها قد تبدو غريبة بعيدة عن الواقع المعاصر. إلاّ أنّه انطلق في مشروعه لأنّها في الحقيقة، حسبما قال: «عميقة الغور ولا تخلو من الطرافة. وعلى كلّ حال، راعينا في اقتباسها جانب شعور إنسان اليوم، فضربنا صفحًا عن كثير ممّا بدا مستغربًا وإن كان مستظرفًا، ولكنّنا لم نتوانَ عن الاحتفاظ ببعض آخر ممّا اخشوشنتْ ملامحه لأنّ المهمّ ليس القشرة والمبنى بقدر ما هو اللبّ والمغزى» (ص ٦).

وأضاف الناقل: «مهما يكن من مظهر هذه الأقوال أو مَخْبَرها، فهي تساعدنا لتعرّف أدبًا روحيًّا عَجَمه الدهر (...)، ولا شكّ في أنّ مَن أراد جني ثمار تلك الأقوال، توجّب عليه مطالعتها بتمهُّل وتذوُّق، يتشمّ عبيرها لأنّها بتنوّعها وجمالها كالزهرات، ويرتشف رحيقها كما تفعل النحلات».

ن. م.

أيّها المسيح الكلمة...

تأليف الأب يوحنّا جاموس
حلب، ١٩٩٦، ٢٥٠ صفحة

الأب يوحنّا جامرس من الكهنة الذين عرفوا كيف يجمعون بين حياة تعجّ بالنشاط الرسوليّ على أنواعه، وفترات ينصرفون فيها إلى العمل الفكريّ والتأليف. وقد صدر له حتّى الساعة ما يقارب العشرة كتب عالج فيها شؤونًا تهمّ الشبيبة في الدرجة الأولى، بعضها روحيّ، وبعضها اجتماعيّ، وبعضها الآخر من نوع السيرة الهادفة. وكتابه الأخير هذا جاء تتويجًا لما سبقه، إذ تطرّق إلى موضوع جوهريّ هو شخصيّة السيّد المسيح، وقد أفلح حضرته في عمله هذا أيّما فلاح.

قليلون هم الذين درسوا بالعربيّة شخص يسوع الناصريّ دراسة علميّة جادّة، وعدد تلك المحاولات لا يتجاوز عدد أصابع اليد، أحدها بقلم الخوراسقف جرجس المارديني، وآخر بقلم الأب بولس إلياس اليسوعيّ، وآخر من تعريب المطران حبيب باشا للأديب

المؤرّخ الفرنسيّ دانيال روبس، وجميعها نقد أو ندر وجوده. وقد جاء كتاب الأب جاموس يسدّ فراغًا لا سيّما أنّه سلك مسلكًا تميّز به عن سواه:

لم يؤلَّف كتاب تأريخ بالمعنى الحصريّ، ولم يتبع ترجمة سيرة يسوع بحذافيرها، فأهمل عمدًا بعض النصوص والوثائق، وركّز على المعالم الأساسيّة التي تبرز وجه المسيح من خلال تأمّلاته فيه. ونتيجة لذلك جاءت محاولته مزيجًا موفّقًا مبتكرًا، انطلق من حقائق تاريخيّة دقيقة. فحلّل وقارن واستنتج، ولحتُه تأمّلٌ مركّز في أهمّ أحداث حياة المسيح وتعاليمه. ومن الفصول التي تسترعي الانتباه: السابع (يسوع ويوحنّا)، العاشر (العظة على الجبل)، الثالث عشر (معجزة رسالة يسوع)، الرابع عشر (ابن البشر - ابن الله)، الخامس عشر (يسوع والزمن)، العشرون (إن لم تمت حبّة الحنطة).

أ. ك. ح.

أبعاد الحبّ

تأليف الأب هنري بولاد اليسوعيّ
طبعة ثانية منقّحة ومزيد عليها
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ٢٠٨ صفحات

هذا الكتاب هو في الأساس سلسلة محاضرات أُلقيت في أثناء دورات تكوينيّة للشباب المصريّ، وهي تعالج معنى الجنس والحبّ والزواج في ضوء الإنجيل وعلم النفس والعلوم الفسيولوجيّة، وفيها محاولة للربط بين مجالات ثلاثة: الروحيّ والعلميّ والنفسيّ الحياتيّ. وفرادة هذا الكتاب أنّه جمع بين هذه الأصعدة في حين يكتفي أغلب المصنّفات عن الحبّ بتناول الموضوع من أحد جوانبه المذكورة من دون سواها. ولقد نجح الأب بولاد، المعروف بكتاباته الروحيّة العميقة والسهلة معًا، أن يقدّم إلى الشبيبة والمربّين على السواء كتابًا عصريًّا، وجوديًّا، منطقيًّا، واقعيًّا، قريبًا من الحياة، نابعًا منها.

د. م. ن.

كتب أهديت مؤخّرًا إلى المجلّة

- سرّ التلمذة المسيحيّة. جذور وآفاق. «أعمال مؤتمر التراث السريانيّ الثالث»، مركز الدراسات والأبحاث الرعويّة، أنطلياس، ١٩٩٦، ١٦٠ ص بالعربيّة و٢٤٨ ص بالفرنسيّة. عندما كانت الآراميّة - والسريانيّة منها - لغة إمبراطوريّة شاسعة الأطراف، لم تكن سواها من اللغات الساميّة إلّا لغاتٍ محلّيّة محدودة. والسريانيّة ما زالت حيّة في مناطق من سورية والعراق وإيران وبعض بلدان الهجرة، فلا بدّ من تشجيع المؤتمرات التي تحيي تراثها، وشكرِ القيّمين على تنظيمها.
- رسالة القدّيس بولس إلى أهل أفسس. بقلم الخوري بولس الفغالي، سلسلة «محطّات كتابيّة»، ٢، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٦، ٢٦٨ ص. يجيد المؤلّف في

وضع شروح للأسفار المقدّسة معمّقة مسهّلة معًا يفيد منها الكاهن والعلمانيّ، الواعظ والدارس، الاختصاصيّ والعامّيّ.

- ملكوت الله وبرّه. بقلم الأب بيتر مدروس، في «موسوعة المعرفة المسيحيّة»، تـم «الكتاب المقدّس»، ٨، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ٥٦ ص. المؤلّف اختصاصيّ بالدراسات البيبليّة وعلم اللاهوت البيبليّ. دراسته تعالج مفهوم «الملكوت» في أبعاده الكتابيّة واللاهوتيّة والروحيّة.
- الكنيسة البيزنطيّة: طقوس، روحانيّة، فنّ. إعداد دار المشرق، بيروت، في «موسوعة المعرفة المسيحيّة»، تـم «تاريخ الكنيسة»، ٨، ١٩٩٦، ٥٢ ص. مختصر جامع يفيد عن كنيسة كثيرون منّا يحيون بجوارها ويجهلون الكثير عنها.
- Instruments d'analyse du texte narratif. Description, référentialisation et développement. Essai de sémiotique textuelle, par Sœur Mariam Farannis, Zahlé, 1996, 244p. المؤلّفة أستاذة الألسنيّة والإنشائيّة في الجامعة اللبنانيّة وكتابها تطلّب جدّيّة في البحث وصبرًا وجلدًا على التنقيب والتوليف ممّا لا يتوفّر إلاّ عند مَن ترهّبوا للعلم.
- Les Syriaques aux enfants, par Jean-Maurice Fiey, O.P. et Ray Jabre Mouawad, Ed. du Centre d'Etudes et de Recherches Pastorales - CERP, Antélias, 1996, 57 p., cartonné, illustr. en quadrichromie. كتاب رائع يجعل تاريخ السريان في متناول الصغار... والكبار! نرجو، إلى ذلك، تصحيح غلط يتكرّر لدى العامّة ولا يجوز بقلم الخاصّة. فقد ورد في الصفحة ١٤ أنّ مار مارون عاش قرب أفاميا حيث تقوم اليوم قلعة المضيق (بالقرب من حماه). فدير مارون الذي قام قرب أفاميا لم يكن المكان الذي عاش فيه القدّيس – وكان متوحّدًا! – بل دير سمّاه أتباعه باسمه. أمّا مارون فعاش بالقرب من قورش (النبيّ هوري حاليًّا)، على بعد نحو مائتي كيلومتر إلى شمال أفاميا. فالبون بين المكانين شاسع!
- Recueil, par Edouard N. Chemali, Editions al-Mourad, Beyrouth, 1996, 102 pages, cartonné. هذا كتاب آخر بالفرنسيّة يصدر في لبنان بقلم لبنانيّ (وهو السابع المعرّف في هذا العدد من المجلّة). صدر هذا المؤلّف – وهو مجموعة شعريّة – تسع سنوات بعد وفاة صاحبه. ليست القصائد بالمستوى الواحد، ولكنّ بعضها جدّ موفّق، رشيق بالفكر والقول. ويغلب على الديوان مسحة الألم.
- Duwaybi et les langues syriaque et arabe, par Antoine Noujaim. منشورات رابطة البطريرك إسطفان الدويهيّ الثقافيّة، زغرتا – إهدن، الرقم ٢٣، ١٩٩٦، ٤٦ ص. دراسة علميّة، على صغر حجمها، تظهر وجهًا آخر من وجوه شخصيّة الدويهيّ العلاّمة القدّيس. حبّذا لو تُنقل إلى العربيّة.

شروط الكتابة في «المشرق»

- تصدر المشرق مرّتين في السنة (كانون الثاني/ يناير، وتمّوز/ يوليو) وفي نحو ٥٥٠ صفحة لمجموع الجزءَين.
- يُرجى من السادة المؤلّفين إرسال مقالاتهم مطبوعة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخطّ واضح.
- لا تُعاد مخطوطات المقالات إلى أصحابها، سواء أُنشِرَت أم لم تُنشَر.
- جميع الحقوق محفوظة لمجلّة المشرق.

* * *

بدل الاشتراك عن السنة الواحدة (بما فيه تكاليف الإرسال)

في لبنان وسورية	١٠ دولارات أميركيّة
في مصر	١٥ دولارًا أميركيًّا
في البلدان العربيّة الأخرى	٢٥ دولارًا أميركيًّا
في أوروبّا	٣٥ دولارًا أميركيًّا
في أميركا وأوستراليا	٤٠ دولارًا أميركيًّا

التسديد بواسطة حوالة مصرفيّة لأمر «دار المشرق» على بنك البحر المتوسّط، بيروت. رقم الحساب 1 US$ 11 25120 OA

Abonnement annuel

Liban et Syrie	10 dollars US
Egypte	15 dollars US
Autres pays arabes	25 dollars US
Europe	35 dollars US
Amérique et Australie	40 dollars US

A régler par *virement bancaire* - et non par chèque - à l'ordre de «Dar el-Machreq» sur la Banque de la Méditerranée, Beyrouth, N° de compte: 1 US$ 11 25120 OA.

أعداد المشرق السابقة

ثمّة مجلّدات من المشرق متوفّرة منذ إعادة ظهور المجلّة، عام ١٩٩١ وحتّى اليوم، وأسعارها هي كالآتي:

١٩٩١ (المجلّد ٦٥) - ٥١٨ صفحة - ١٦ دولارًا
١٩٩٢ (المجلّد ٦٦) - ٥٤٤ صفحة - ١٥ دولارًا
١٩٩٣ (المجلّد ٦٧) - ٥٦٠ صفحة - ١٤ دولارًا
١٩٩٤ (المجلّد ٦٨) - ٥٦٠ صفحة - ١٣ دولارًا
١٩٩٥ (المجلّد ٦٩) - ٥٢٠ صفحة - ١٢ دولارًا
١٩٩٦ (المجلّد ٧٠) - ٥٤٤ صفحة - ١١ دولارًا

وهناك مجلّدات قديمة متفرّقة منذ سنة التأسيس (١٨٩٨) وحتّى سنة ١٩٤٩.

Anciens volumes d' *al-Machriq*

Tous les volumes parus depuis la reprise d' *al-Machriq* sont disponibles aux prix suivants:

1991 (volume 65) - 518 pages - 16 dollars
1992 (volume 66) - 544 pages - 15 dollars
1993 (volume 67) - 560 pages - 14 dollars
1994 (volume 68) - 560 pages - 13 dollars
1995 (volume 69) - 520 pages - 12 dollars
1996 (volume 70) - 544 pages - 11 dollars

D'autre volumes, plus anciens (entre les années 1898 et 1949) sont également en vente auprès de l'administration de la revue.

gères, ignorant les procédés propres à l'arabe classique. Il montre, en terminant, comment certaines traductions peuvent être admises..... 183

La Vierge et l'Enfant dans l'art byzantin,
par le P. Sami Hallak, S. J.

Cet article traite des seules icônes qui montrent la Vierge Marie portant l'Enfant-Jésus, ce qui ne constitue qu'une part modeste des représentations de la Vierge. Mais si les icônes mariales ont foisonné, du fait notamment que les règles de l'art byzantin ne se sont pas occupées de déterminer ce type, les peintres n'ont pas cédé pour autant à la fantaisie et n'ont pas voulu que leurs œuvres soient en marge de la vie liturgique et de la mission spirituelle incarnée. C'est pourquoi toute icône de la Vierge reflète l'identité d'un peuple et d'une église 195

Recensions de livres

Šawqī Šaʿṭ et Fāliḥ Baldkūr: *Ḥalab fī kutub al-buldāniyyīn al-ʿarab* (A. Freijate); P. Salim Daccache: *Abū-Rāʾiṭa at-Takrītī et son épître sur la Sainte-Trinité* (Edit. et étude) (J. Hatem); Robert B. Campbell (Edit.): *Aʿlām al-adab al-ʿarabī al-muʿāṣir. Siyar wa siyar ḏātiyya* (C. Hechaïmé); Jawdat Ibrāhīm: *Naẓariyyat al-adab wa-l-mutaġyyirāt* (G. Jabbour); Joseph Abī-Ḍāhir: *Sifr min kitāb imtaʿa* (C. Hechaïmé); Ṣubḥī Ḥabīb: *ʿAṭaš fī bilād al-Yanābīʿ*; et *Ayyuhā-l-hārib min al-ġurḥ* (R. Harfouche); Najwa Aoun Anhoury: *Panorama de la poésie libanaise d'expression française* (C. H.); Joseph Nasrallah et Rachid Haddad: *Histoire du mouvement littéraire dans l'Eglise melchite du V^e au XX^e siècle*, Vol. II, t. 1 (C. H.); Georges Qurm: *Madḫal ilā Lubnān wa-l-Lubnāniyyīn* (S. Daccache); ʿAbdallāh Ḥaǧǧār: *Kanīsat al-qiddīs Simʿān al-ʿamūdī wa āṯār ǧabalay Simʿān wa Ḥalqa* (C. H.); Souad A. Slim: *Balamand, Histoire et patrimoine* (C. H.); Houda Kassatly: *La communauté monastique de Deir el-Ḥarf* (C. H.); Mārlīn Naǧīb Ḥaydar: *Mustašfā al-qiddīs Ǧāwarǧīus lir-rūm al-urṯūḏuks, 1877-1934* (C. H.); Ǧamīla Kustā Kūstī: *Madrasat «Zahrat al-Iḥsān». Ḥaṣāʾiṣ an-našʾat wa-t-taṭawwur min ḫilāl «Iqd al-Ǧumān». 1881-1928* (C. H.); Umayya az-Zaʿīm: *Muḥammad Saʿīd az-Zaʿīm raǧul al-iqtiṣād wa-l-ʾadab, 1905-1963* (C. H.); P. Buṭrus Saʿāda: *Abūnā Yūsuf al-Ǧubaylī, 1887-1934* (C. H.); *Aqwāl aš-šuyūḫ. Ḥikam ābāʾ al-barriyya* (Trad. P. Camille Hechaïmé) (D. M.); P. Yūḥannā Ǧāmūs: *Ayyuhā-l-Masīḥ al-Kalima* (C. H.); P. Henri Būlād: *Abʿād al-ḥubb* (D. M. N.); livres offerts à la revue..... 229

représentatives. Cela permet, dans une dernière étape, d'évaluer la réaction qu'elles ont suscité parmi les partisans aussi bien que les détracteurs d'une telle approche..... 117

La nouvelle loi sur la ḥisba en Égypte: son sens, son contexte, ses ambiguités,
par le P. Christian van Nispen, S. J.

Cette loi (29 janvier 1996) intervient et prend position dans le débat ouvert récemment par le procès intenté au penseur égyptien Naṣr Ḥāmid Abū Zayd et réclamant qu'il soit séparé de sa femme pour raison d'apostasie. L'A. commence par la situer dans l'histoire, montrant comment ce terme non coranique qui désignait au départ le devoir de tout musulman d'«ordonner le bien et défendre le mal», s'est peu à peu confondu avec la fonction d'un personnage, apparu tardivement, chargé de l'application de cette règle. Puis il étudie la ḥisba en Égypte avant la nouvelle loi, et les ambiguités inhérentes à la législation du pays qui est un compromis entre la loi musulmane et les concepts modernes des droits de l'homme. Dans une troisième partie il analyse la loi du 29 janvier 1996 et montre que, si elle stipule que seul le parquet est désormais habilité à intenter des procès en vertu de la ḥisba - limitant ainsi les abus possibles -, elle consacre par le fait même le principe de la ḥisba qui, auparavant était vague..... 135

Quelques toponymes du Yémen, par Ibrāhīm as-Sāmarrā'ī.

Après un premier article sur les toponymes de l'Irak (*al-Machriq* 1996, pp. 185-214), l'A., qui a vécu de nombreuses années au Yémen, étudie plus de cent toponymes de ce pays qui reste toujours mystérieux pour les non spécialistes. La méthode suivie consiste à fournir des explications sur la situation géographique, le sens de l'appelation et son origine, et éventuellement des remarques philologiques qui s'appuient souvent sur des rapprochements entre l'arabe classique et l'ancien sud-arabique. Il est enfin fait appel, régulièrement, aux textes des anciens géographes et historiens..... 143

Corruption de l'arabe classique par les expressions étrangères et dialectales (suite),
par le P. Camille Hechaïmé, S. J.

L'A. s'est penché une première fois sur cette question (voir *al-Machriq* 1996, pp. 7-24). Il poursuit ici son travail critique et montre, à travers une trentaine d'exemples, comment de nombreux écrivains actuels transposent littéralement, et partant incorrectement, des expressions ou tournures étran-

esséniens comme l'ont confirmé les rouleaux mis à jour dans les grottes de Qumran. - L'A., après une introduction historique et critique, fournit les textes et les commente..... 41

Texte arabe inédit de l'évêque Ǧirmānus Farḥāt: «Soixante méditations sur la passion et la résurrection de Jésus»,
par le P. Salim Daccache, S. J.

Nous connaissons bien la place qu'occupe le célèbre évêque d'Alep Ǧ. Farḥāt (+ 1732) dans le domaine des lettres arabes à travers son *Baḥṯ al-maṭalib* et autres classiques maintes fois réimprimés. Il fut également un innovateur dans les domaines de la spiritualité, de l'ascétique, de la vie monastique, puisant à la fois dans les sources orientales et la démarche occidentale. Ce texte inédit du fondateur de la «Bibliotheca Maronitica» d'Alep fait partie de sa vision de l'oraison mentale, instrument d'union à Jésus-Christ..... 57

Aperçu sur le christianisme dans le sud de la presqu'île arabique avant l'islam,
par le P. Salâh Abou-Jaoudé, S. J.

Les historiens sont unanimes à reconnaître que le christanisme était répandu dans le sud de la presqu'île arabique avant l'Islam. Mais comment y est-il entré, et quand et où, et quelles étaient ses croyances? L'A. se propose dans cet article de faire profiter les lecteurs du résultat des recherches récentes, la plupart en langues étrangères, qui ont répondu à ces questions. Ce sont les conflits politiques et militaires entre Byzance et Axoum d'une part, et la Perse d'autre part, qui ont contribué à répandre le christanisme dans le sud de la presqu'île. et il y avait plusieurs courants chrétiens: des églises ariennes dans le royaume himyarite qui était au service des commerçants byzantins, et là où les Ethiopiens ont dominé, c'était le monophysisme rattaché à l'Eglise d'Alexandrie; enfin, un courant nestorien dans certaines villes himyarites, les ports surtout..... 83

Naṣr Ḥāmid Abū Zayd, à travers quelques œuvres représentatives,
par Ahyaf Sinno.

D'une façon générale, c'est le fait divers qui a attiré, surtout, l'attention de la presse dans l'affaire du professeur égyptien Naṣr Ḥāmid Abū Zayd. La présente étude expose, plutôt, la genèse d'une œuvre qui, profitant de l'apport de la linguistique et des sciences humaines, tente d'appliquer, aux textes religieux islamiques, une approche nouvelle; elle analyse ensuite les principales idées de l'auteur, en partant de ses œuvres les plus

SOMMAIRE

Liminaire: 5

«Ut unum sint». Continuité et renouveau dans le mouvement œcuménique,
par Mgr Antoine Audo.

L'article se veut une lecture approfondie de l'encyclique *Ut unum sint*. Dans la première partie l'A. dégage les idées maîtresses de chaque chapitre, et dans la deuxième il relève ce qui paraît novateur dans la pensée de Jean-Paul II. En effet le pape aborde la question délicate de la prinauté pontificale et fait la distinction, en ce qui la concerne, entre ce qui relève de son essence et ce qui touche aux différentes modalités de son exercice 7

La théologie dans ses dimensions pédagogique, scientifique et spirituelle
par le P. Fadel Sidarouss, S. J.

L'article est une conférence donnée dans le cadre du congrès des professeurs de l'«Association des Facultés de théologie au Moyen-Orient» (ATIME). L'A. détaille les qualités que doit avoir tout professeur de théologie et les groupe sous trois dimensions: la dimension pédagogique qui est à la base de toute activité d'enseignement théologique, la dimension scientifique qui donne à cet enseignement une base objective, et la dimension spirituelle qui fait de cet enseignement une véritable mission d'Eglise 23

Cinq psaumes de David non inclus dans la liste officielle des psaumes,
par le P. Paul Féghali.

C'est en 1759 que J. S. Assemani découvrit dans un manuscrit syriaque de la Vaticane 5 psaumes apocryphes inconnus jusque là. Il faudra attendre 130 ans environ pour que W. Wright les publie et les traduise en anglais à partir d'un ms de la fin du 17[e] s. découvert à Cambridge. Ces écrits proviennent des milieux

AL-MACHRIQ

Revue semestrielle culturelle
fondée par
Les Pères de la Compagnie de Jésus
en 1898

71e année
1997

DAR EL-MACHREQ
BEYROUTH